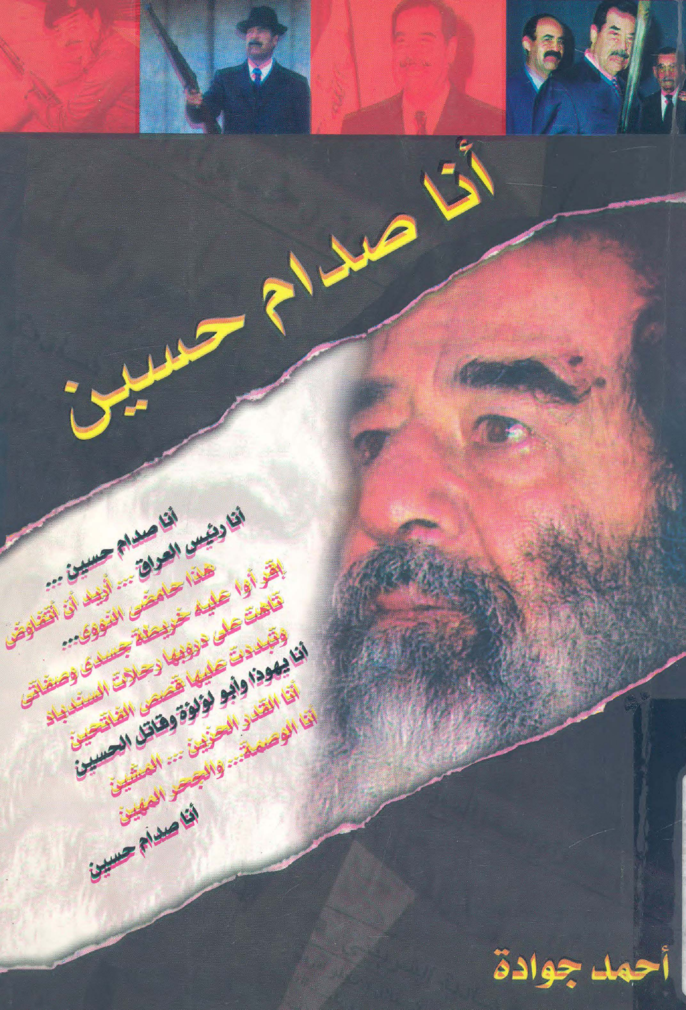

أنا صدام حسين
أنا صدام حسين ...
أنا رئيس العراق ... أريد أن أتفاوض
هذا حامضي النووي...
إقرأوا عليه خريطة جسدي وصفاتي
تاهت على دروبها رحلات السندباد
وتبددت عليها قصص الفاتحين
أنا يهوذا وأبو لؤلؤة وقاتل الحسين
أنا القدر الحزين ... المشين
أنا الوصمة... والجحر المهين
أنا صدام حسين
أحمد جوادة

أنا صد ام حسين ...

اسم الكتاب	: أنا صدام حسين
اسم المؤلف	: أحمد محمود جوادة
اسم الناشر	: الرقي للتوزيع والنشر
العنوان	: ١٠ مبروك عبدالفتاح - حلمية الزيتون.
البريد الإلكتروني	: roqi@maktoob.com
التليفون	: ٦٤٢٩٤٨٦ - ٠١٠٣٧٥٢١٠٩
رقم الإيداع	: ٢٠٠٤/٢٥١٧
جمع تصويري	: الرقي لخدمات الكمبيوتر
تليفون	: ٦٤٢٩٤٨٦

حان الوداع أيا بغداد قد نُحرت

رجـــولة القوم فى ميدان منتقم

حـــان الوداع وعذر القوم أنهم

لا يقدرون على الأرماح والحمم

هذا الوداع فموتى خيرَ عاصمة

مـــذبوحةً.... ربما ماتت بلا ألم

بدلا من المقدمة

" قولوا فى صدام ما قاله الإمام مالك فى الخمر"

يا سادة ...

"انتهت اللعبة"

القضية ليست قضية صدام، وإنما قضية أن التاريخ يعيد نفسه فالجثث المتناثرة فى عاصمة الرشيد هى نفسها الجثث، ولربما كان الخراب الذى يعانيه العراق اليوم مقاربًا للخراب الذى أحدثته الهجمة البربرية التترية قبل ثمانية قرون؛ من حيث بشاعته لا من حيث أسبابه ومرجعياته، إذ أن هذه الأسباب والمرجعيات ترتكن فى حقيقة أمرها على حيثيات أيديولوجية عميقة الجذور، وتتعالى فوق كل أطماع اقتصادية نفطية ورؤى استراتيجية تتناول ضرورة تدمير أسلحة الدمار الشامل العراقية كما يظن البعض.

القضية باختصار: قضية تحقيق الحلم الدينى للكيان الصهيونى؛ بإنشاء ما يسمى "بدولة إسرائيل الكبرى" أو "مملكة الرب"، وهو ما لم يكن حافزًا للتتر على غزو ديار الإسلام من جهة الحيثيات الأيديولوجية.

القضية أن ما يحدث فى هذه الآونة هو شرح عملى لأقوال وتصريحات صدرت طوال قرون ماضية. كان العرب والمسلمون وما زالوا خلالها نائمين أو متناومين؛ فى حال انشغال دائم بأزماتهم الداخلية وصراعاتهم الحدودية، وشعاراتهم الثورية، مصروفين عن مواجهة مشروعات الأعداء وخططتهم التى لم تكن خفية يوما، إن ما يحدث الآن هو ضمن خطة أبعد من بغداد والفرات، بل من سيناء والنيل، إنها عندهم تمتد لتصل إلى جنوب تركيا وشمالى سوريا،

وحتى مشارف المدينة المنورة.

وإليك أيها القارئ بعضًا من الأقوال القديمة لتقرأها قراءة جديدة في ضوء ما يحدث، وما يمكن أن يحدث:

* في تفسيره لنص الوعد المزعوم في التوراة؛ قال المؤرخ د. جورج بوست في كتاب "قاموس الكتاب المقدس": "الأرض الموعود بها إبراهيم الموصوفة في كتاب موسى؛ تمتد من جبل هور إلى مدخل حماة، ومن نهر مصر إلى النهر الكبير نهر الفرات، وأكثر هذه الأراضي كانت تحت سلطة سليمان، فكان التخم الشمالي حينئذ سوريا، والشرقي في الفرات، والجنوبي لرية التيه في سيناء، والغربي البحر المتوسط".

* في يومياته التي كتبها مؤسس الصهيونية الحديثة تيودور هرتزل قال: "إن القاعدة يجب أن تكون فلسطين أو بالقرب منها، إن علينا تشييد البنيان على أساس قوميتنا اليهودية".. "إن الشعار الذي يجب أن نرفعه: هو فلسطين داوود وسليمان".. "المساحة.. من نهر مصر إلى نهر الفرات، نريد فترة انتقالية في ظل مؤسساتنا الخاصة، وحاكمًا يهوديًا خلال تلك الفترة، بعد ذلك تنشأ علاقة كالتي تقوم الان بين مصر والسلطان".

* وفي رده على لجنة التحقيق الدولية التابعة للأمم المتحدة؛ قال الحاخام اليهودي: "الحدود: من مدينة الأسكندرية، محيطة بمنطقة الدلتا غربًا في مصر، ثم تمتد جنوبًا مع مجرى النيل، لتتجه شرقا في خط مستقيم، قاطعة الجزيرة العربية حتى محاذاة نهر الفرات، ثم تصعد الحدود مع مجرى نهر الفرات حتى

حدود تركيا لتصل إلى سوريا، لتقفل الدائرة بعد ذلك بالحدود الشرقية للبحر المتوسط".

* وبعد استقرار الدولة اليهودية واعتراف العالم بها، واتخاذها علمًا رسميا يضم خطين أزرقين تتوسطهما نجمة داود، قال جوزيف رستو -أحد خبراء الاستراتيجية الإسرائيلية- مفسرًا ذلك الرمز على العلم: "العلم الإسرائيلى مساحة بيضاء، يحدهما شريطان عموديان باللون الأزرق؛ هما نهرا الفرات والنيل.

هذه التصريحات، لم تكن مجرد كلمات من الزعماء والساسة، ولكن كان وراؤها دائما أجهزة فعالة، وعلى رأسها المؤتمر الصهيونى العالمى الذى أعلن فى توصيات المؤتمر الصهيونى الثالث والعشرين المنعقد فى القدس فى أغسطس 1951: "لا ينبغى أن نجبن عن الجهر بعزم الصهيونية على جمع يهود العالم فى أرض إسرائيل الكاملة".

وعلى أية حال فإنه لم يعد سرًا أن خطة تحرير العراق هى خطة يهودية صرفة، وضعها فريق المتنفذين اليهود فى الإدارة الأمريكية وعلى رأسهم ريتشارد بيرل، أما الرئيس الأمريكى المرشح لرئاسة العراق المحتل؛ والذى خلف صدام حسين فهو صهيونى بحت.

إن حدثًا تاريخيًا خطيرًا جرى هذه الأيام، بيد أننا وا آسفاه مازلنا فى غفلة الغافلين لم نشعر بفداحة حجمه، وهو وصول اليهود إلى الفرات بعد عهد دولة داود وسليمان بثلاثة آلاف عام.

هل وعى سياسيونا المحنكون أبعاد مسلسل السيطرة المتحقق بانتظام على أرض الواقع العربى والإسلامى منذ أكثر من مائة عام؟! أم يريدون الانتظار حتى تكمل بقية المراحل الأخرى بذرائع أخرى غير ذرائع (تحرير العراق)؟! إن بقية نهر الفرات تمتد على أرض سوريا، وسوريا الآن فى مهب المواجهة.

وإذا كان سياسيونا الحكماء لا يعون؛ فهل نعى نحن؟! وهل ندرك نحن الإسلاميين خطورة الوضع الذى وصلت أمتنا إليه فى درك من المهانة والذل؟! وهل نعى ما قاله الشيخ الشعراوى -رحمة الله عليه- "ليس الذى يضيع الحقوق الحكومات الظالمة، وإنما الذى يضيع الحقوق الرعية الصامتة"...

أحمد محمود جوادة

القاهرة .... 15 ديسمبر 2003

إهــــداء

★ إلى القلة القليلة الباقية من شرفاء هذه الأمة..

★ إلى أمل هذه الأمة المنشود فى ظلمة الدرب

★ إلى الأستاذ مصطفى بكرى

الفصل الأول

(النشأة و والطفولة)

- الأب
- زوج الأم
- ساجدة (عطية الجد)
- الإخوان المسلمين
- الحزب الشيوعى
- الطفل الرئيس
- كليم البعث

سيرة حياته كما رواها بنفسه..

فقبل رحيله عن السلطة فى بغداد كتب صدام سيرة عن نفسه حكى خلالها وقائع أصوله العائلية وطفولته وموت أبيه وعلاقته بأمه وزوجها وخاله، وبداية تعلقه بزوجته وقصة انضمامه للمدرسة فى سن متأخرة وفشله فى الالتحاق بالتعليم العسكرى وتجنيده فى حزب البعث وإخفاق جماعة الأخوان المسلمين فى ضمه إليها وتفاصيل محاولته لاغتيال عبد الكريم قاسم.

أنها قصة حياته التى أعدها فى صورة رواية بدائية سماها "رجال ومدينة" وتعمد أن تكون تسجيلية تحكى مراحل تطوره المختلفة.

قال صدام فى مستهل سيرته الشخصية أن والده حسين المجيد ينتمى إلى عائلة حسينية الأصل يمتد جذرها إلى سيدنا الحسين بن على (كرم الله وجهيهما) وأن والده كان يلقب الحسين الصغير وأن جد والده كان رجلاً مباركاً فى عرف وتعامل أهل مدينته الصغيرة الواقعة على حافة نهر دجلة وأن من تتعسر ولادتها تستخدم حزامه لتسهل الولادة. وعلى طريقة أصحاب البشارات والأساطير الكبرى فقد ربط صدام بين ميلاد والده الذى كان جده مباركاً والبؤس الذى يعم العراق من أقصاه إلى أقصاه ليكون ميلاد الوالد فى إطار أحداث وعلامات أخذت تتراكم من أجل التمهيد لميلاد الابن الذى هو صدام إيذانا ببدء خلاص المعذبين.

يقول صدام واصفا نفسه فى تمهيده لقارئ سيرته إن الشخصيات والأحداث الواردة بها ما تلبث أن تتجمع وتتسق فى شخصية ثرية ماهرة

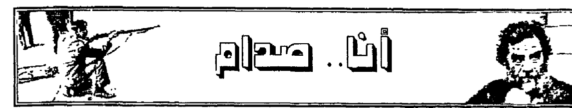
فى رؤيتها لمفتاح الخلاص كما أنها صورت إلى حد النطق ظروفا مـر بهـا الفارس دون أن ينثني أمامها.

الأب

يحكى صدام أن حسين بن المجيد (والده) ولد والبؤس يعم العـراق مـن أقصاه إلىأقصاه ولم يعد فيه أى شئ عدا بقايا ما يستدل منه على عظمة المعانى والدلالات التى تحملها آثاره.

صار حسين عبدالمجيد يتيم الأم والأب بعد ذلـك، وعنـدما بلـغ مبلـغ الرجال راح أشقاؤه يسعون ليخطبوا له من أقاربه بنتا تكافئ نسبه، ووقع اختيار أشقاء السيد حسين كما يذكر صدام- على عم لهم يلتقـون معـه بأحد أجدادهم وخطبوا للسيد حسين ابنته.إنها صبحة التى انتقلت مـن بيت أبيها لتعيش مع حسين فى دار جديدة.

يذكر صدام أن الده كان يعمل حارسا وقد مرت الأيام سراعا فى حياته مع صبحة وأن صدام نفسه لم يكن ولدهما الأول فقد ولدت صبحة أخا لـه أكبر منه أصيب بمرض بعد أن أصبح عمره أربعة أشهر فتوفى، وأنه فى أثناء حملها بصدام سقط حسين المجيد على القسـم أسـفل مـن ظهـره فى منطقة "العصص" لقفزه من فوق سطح منزلـه إلى الأرض للإنقضـاض على أحد الأشقياء كان يحاول التحرش بزوجة جاره الـذى اسـتنجد بـه وعلى الرغم من أن حسين المجيد هزمه إلا أن الألم ازداد على حسـين فى أسفل ظهره وجنبه وبدأت صحته تتدهور وظل قعيد منزلـه ولم تفلـح محاولات علاجه.



ويشير صدام إلى أن والده توفى قبل ولادته بثلاثة أشهر وأنه قد أوصى صبحة إذا وضعت ولداً أن تسميه صدام وإذا كانت بنتاً فهى فاطمة.

اقترب عمر صدام من السنتين عندما مات جده لأمه وكان ذلك إيذانا بانتقال أمه للعيش فى بيت خاله ببغداد.

يقول صدام انتقلت العائلة كلها إلىبغداد وعلىالرغم من أنها عالم جديد علىقياس الحال والظروف والحياة والعادات وجانب التقاليد - بالنسبة لقريته العوجة طبعا - إلا أن الفروقات لم تكن متباعدة فقد كانت بغداد آنذاك بين العام ١٩٣٦ حيث تخرج خير الله (خاله) فى الكلية العسكرية والعام ١٩٤١ أشبه بقرية كبيرة ... وأن ما جعل العائلة لا تجد نفسها فى غربة هو أن الحى الذى سكنت فيه بالكرخ يضم فى أغلبيته أناسا جاءوا لطلب الرزق من سامراء والدور وتكريت وأنهم بالأساس ضمن حدود المنطقة الجغرافية لقريته الأصلية وتتقارب عاداتهم وطباعهم وتقاليديهم كما كانوا جميعا باستثناءات بسيطة محدودى الدخل.

زوج الأم

مضت سنوات صدام الأولى فى بيت خاله خير الله ببغداد إلى أن جاءهم إبراهيم الحسن وفاتح عمته أم خير الله برغبته الزواج من صبحة أم صدام وكان فى الوقت نفسه متزوجا من ابنة عمها.

وبعد عقد قران صبحة على إبراهيم سافرت معه وبرفقتها صدام فعادوا إلى العوجة بعد أن تركاها منذ أكثر من سنة ليكونا فى بغداد.

يقول صلاح عمر العلي أحد قادة حزب البعث السابقين أن الذين عرفوا إبراهيم الحسن (أبو أخوة صدام غير الاشقاء برزان ووطفان وسبعاوى) يقولون إنه صاحب شخصية شريرة لا حدود لمشاعر القسوة فيها وأنه لم يحمل أى مشاعر ود لابن صبحة وقد عامله بعداء مفرط وكان يضربه بلا رحمة على الرغم من صغر سنه، وقد حكى صدام لأمير اسكندر الذى كتب سيرة ذاتية عنه أنه لم يشعر بطفولته وبدا وكأنه يميل للأنقباض ويتجنب مرافقة الآخرين وأنه عاش حياة شقية بسبب الفقر، وعندما بلغ عمر صدام الثامنة أو أكثر اشترى له إبراهيم منجل حصاد صغير خفيف الوزن وعلمه كيف يجمع السنابل بيده اليسرى وقطعها بالمنجل وقد تعلم صدام أيضاً الحراثة بالمحراث القديم على الثيران وكلما حاولت الزوجة الأولى أن تقول لزوجها إبراهيم أن صدام صغير ولا يمكنه القيام بهذه الواجبات أجابها إبراهيم أن الصغير يكبر وعليه أن يتعلم.

مع إبراهيم تعلم صدام كل ماينبغى أن يعرفه الفلاح المتوسط وربما النبه أحيانا قبل العاشرة من عمره، وتعلم السباحة حتى أتقنها، وكان يعوم عاريا وتعلم ركوب الخيل والبغال أحياناً حتى البقر.

ويحكى صدام أن عمره كان ثمانى سنوات أو أكثر قليلاً عندما رافق زوج أمه فى السفر بالدواب وكيف تركه إبراهيم يعود بمفرده راجلا يسوق دابتين محملتين أمامه ولم يكن معه إلا عصا وخنجر صغير وكيف أفلت بحنكته وحيلته وسط أرض خالية من الناس من خيال على فرسه مسلح ببندقية حتى وصل بسلام إلى أمه وأخوته. لقد حكى صدام أيضا أنه كان يسير

بالغنم فى جوف الليل ولم يترك فرصة لذئب أن يظفـر بنعجـة أو حـتى بجمل صغير.

وبدون فاصل أو سياق ينتقل صدام مباشرة مـن معركتـه مـع الرعـاة إلىمعركته مع أمريكا ليقول: بهذه الـروح تمكـن العراقيـون أن يواجهـوا الغطرسة الأمريكية والحلف الصهيونى الغربى فى العدوان الثلاثينى (حرب تحرير الكويت) الذى امتـد هـو وقـواه الأساسـية أحـد عشـر عامـا وانتصرواعليه بصمودهم وصبرهم وقدرتهم علىالمطاولة ومثل ذلك فعل شعب فلسطين البطل فىمواجهة الصهيونية منذ عام تقريباً وهو فى وقفته الجهادية كأنه توأم شعب أم المعارك!

الشئ الوحيد الذى لم يفسره صدام فىعلاقته بزوج أمـه هـو أن الأخـير رفض تعليمه بالمدارس فهرب منه صدام وطوال السيرة الذاتية لم يـذكر صدام رد فعل إبراهيم الحسن على هذا الهروب والإلتحاق بالمدرسة.

ويقال أن صدام لجأ إلى بيت خاله وكان فى التاسعة من عمره ولم يـدخل المدرسة بعد، ويقول **صلاح العلى** أن صدام قديكون اختار الفـرار مـن جحيم إبراهيم الحسن وقد تكون صبحة شجعته على ذلك لتتفادى رؤية زوجها ينهال بالضرب على ابنها.

ويعتقد العلى أن صدام كان أكبر من سن التاسعة آنذاك. إنما الأكيد لديـه أن صدام دخل المدرسة الابتدائية فى تكريت وكان خال العلىواسمه سعيد بن الفتاح مدرسا فيها وهو لا يزال حيا سأله العلى فقال إن اسـم صـدام

موجود في سجلات المدرسة وأكد أنه كان من الطلاب الأذكياء ويعتبر من المتفوقين.

يقول صدام طرحت فكرة الدراسة علىوالدتي وكانت رغبتها أن أدرس ولكن عندما طرحت الفكرة على عمى إبراهيم رفضها من أساسها ولعن المدرسة ومن يدرس ولم يسمح لوالدتى أو لى بأن نناقشه واتخذت قرارى النهائى من غير أن أبوح به حتى لأمى.

ويحكى صدام أنه تظاهر بالنوم وأحضر قربة عصا جيدة وبقى يقظا حتى تأكد أن كل من هم حوله نيام وهرب من منزل زوج أمه إلى بيت خاله خير الله طلفاح حاملاً عصاه بعد منتصف ذلك اليوم من سبتمبر عام ١٩٤٧ وهو العام الذى دخل فيه المدرسة.

وفي طريقه إلى بيت خاله عرج على أولاد عمه على حسن المجيد وأخيه كامل وكانا يعملان رئيسى حراس وقد اندهشا لوجوده في هذه الساعة المبكرة والمسافة التى قطعها إليهما ماشياً وسط المخاطر

وصل صدام إذن إلى بيت خاله وفرحت جدته وكل خالاته بقراره بخصوص المدرسة وأطروا عليه كما يذكر - وقالوا له جميعا لو لم تتخذ هذا القرار وتأتى إلينا ما كان إبراهيم سيقوله.

وبدأ خاله في اتخاذ إجراءات الحاقة بالمدرسة فالتحق صدام بالمدرسة الأولية الابتدائية يقول: في المدرسة لبست (لباسا) سروالا داخليا لأول مرة بعد أن هجرته منذ غادرت بغداد وعلى الرغم من أن السروال الداخلى يبدو وكأنه يخنق من لم يتعود عليه مثلما قال خال أحدهم من الفسرات

الأوسط لابن أخته جوابا على سؤال لماذا لا تلبس (لباسا) داخليا ولكننى - أى صدام - كنت مسروراً به باعتباره كساء إضافيا إلى ما كنت قد اعتدت على ارتدائه".

ساجدة "عطية الجد"

ولدت لخيرالله طلفاح ابنته البكر ساجدة وكان عمر صدام - كما يذكر فى سيرته الشخصية - دون السنتين وحكم جد صدام لأمه الذى هو نفسه جد ساجدة لأبيها أن ساجدة لصدام - وهى من نصيبه زوجة له.

ويقول صدام إن هذا كان "التقليد السائد لدى أغلبية الناس آنذاك وقبل ذلك الوقت، ويبقى إلى خمسينات القرن الماضى ذا وزن خاص عند العوائل يقوم على أساس قول مشهور كأنه حكم فاصل "عطية الجد لا ترد".

ويذكر صدام أيضا أن صبحة شكرت والدها وشكرت أخيها خير الله لأنه أقر عطية أبيه، ويقول كذلك أن والدته ظلت تردد على مسامعه منذ أن كان طفلا أن جدك حجز لك ساجدة بنت خالك خير الله وأنها كانت تتحدث له عن شئ من ملامح ساجدة على الرغم من أنها افترقت عنها بعد أن تزوجها إبراهيم الحسن.

ويذكر صدام أن تعلقه بساجدة كان يزداد مع سنوات العمر. ومن الصدف أن يكون عمر بنت خال صدام البكر قريبا من عمره وأن والدها قبل ولادة ساجدة كان قد قال إنه يعطى ابنته لصدام لو اتفقا هوى صدام، كما قال كان هناك حيث بيت خاله خير الله وحسبما زرعت أمه فى ذهنه.

عرفت ساجدة طريقها إلى المدرسة قبل صدام ويوم هرب الأخير من منزل زوج أمه إلى بيت خاله طلبا للإلتحاق بالتعليم كانت ساجدة - كما يقول - ناجحه من الثاني الابتدائي وكان شقيقها عدنان خير الله ناجحا من الأول الابتدائي

ويصف صدام لقاءه بساجدة وعدنان فى هذا اليوم فيقول إن ساجدة وعدنان - خاصة ساجدة - كانا منكمشين إزاءه بعض الشئ لأنهما يلتقيان لأول مرة ولأنهما تركا والدتهما فى بغداد وجاءا إلى القرية فى بيت أبيهما.

فقد كانا حريصين على أن لا ينافسهما أحد على أبيهما وعلى العائلة كلها ... ولكننا مع الزمن تعايشنا وفى عام ١٩٦٢ تزوج صدام من ساجدة وأنجب منها عدى وقصى وثلاث بنات.

الإخوان المسلمون

عندما كان صدام فى قريته ولا يزال تلميذاً فى المرحلة الابتدائية - يقول.

عرض علينا أحدهم فكر الإخوان المسلمين ويومها كان عمرى بين الرابعة عشرة والخامسة عشرة ورغم أننى كنت معجبا بدور الأخوان المسلمين عندما واجهوا الانجليز فى قناة السويس وفق ما كنا نسمع من مثقفى المدينة ومن خالى فإن أفكار الإخوان المسلمين لم تستقطبنى.

ويواصل الذى كان لا يزال تلميذا فى المرحلة الابتدائية كنا نبحث عن الثأر من اليهود لتحرير فلسطين ونبحث عن الطريق للثأر للأبطال الذين اعدموا بعد فشل ثورة العراق ضد الإنجليز عام ١٩٤١ ونبحث عن طريق يخلص شعبنا من البؤس الذى كان فيه، ونزرع فيه روح الوثبة باتجاه

أهداف تتصل بثورة روحه على الواقع المر والتطلع إلى المستقبل بعد تغيير الحاضر ضمن خصوصيات أمتنا، كانون يتحدثون لنا عن حسن البنا وجماعته فى مصر. وفى الوقت الذى كانوا يتحدثون فيه عن ضرورة قراءة القرآن ويقرأون لنا كتبا لم نكن نفهم معناها عن فتاوى دينية فى أمور لم تكن ضمن اهتمامنا فى ذلك العمر".

الحزب الشيوعى

ثم حاول شخص آخر فى قريته الذى كان عمره ما بين الرابعة عشرة ولا يزال تلميذاً فى المرحلة الابتدائية أن يعرض عليه منشوراً للحزب الشيوعى

يقول صدام: مع أن ستالين أعجب قسما من الاولاد والشباب الحضور لكنتا لم نجد داخل أنفسنا أى صلة حية وحارة مع ما قرئ علينا لأنه كان أجنبياً أيضاً بالإضافة إلى أن الدعاية بالغت ضد الشيوعية ومنهجها الإلحادى آنذاك حتى أن الانطباع لدى أبناء القرية كان أنهم يتزوجون إخوانهم.

ويضيف أن ما نفرنا وأبعدنا عن الحزب الشيوعي هو أن قائده من أصل أجنبى فهو "أفيلى" من أصول فارسية. كان فى الاتحاد السوفيتى وأرسل من هناك رئيسا للحزب الشيوعى فى العراق. إذن هو أجنبى مثلما الإنجليز المستعمرون أجانب وأن "كارل ماركس" صاحب النظرية الشيوعية يهودى وأن "لينين" مكمل نظريته التى صارت تعرف بالماركسية اللينينيةكان متزوجا من يهودية مما يفسر السبب الذى جعل الاتحادالسوفيتى أول دولة فىالعالم تعترف بالكيان الصهيونى عند قيامه فى عام ١٩٤٨.

الطفل الرئيس

أنه الطفل الرئيس الطفل الهداية الطفل المخلص الذى من روحه ووعيه وإدراكه وأفعاله يستمد العراقيون روحهم ووعيهم وإدراكهم، راح الرجل بعد ذلك يقدم أهله من بين ستة رجال ثلاثة. منهم شهداء دفاعاً عن شهامة العراقي وموقفه ورفضه للأجنبي. بل ألا يكفي من لم يتذكر كل شئ وأى شئ أن يتذكر أنه ابن العراق وأنه رجل.

لقد روى أنه شجت رأسه بعد أن صار عمره بين السادسة والسابعة خلال أول محاولة سباحة بمفرده فتم تطبيب جرحه عن طريق فتيل من الصوف كان يوضع على النار وعندما يلتهب يطفأ على مكان الجرح.

قال: "مع الألم الذى أحسست به لم أتضجر أو أتأوه فهل يجروء أحد على التأوه من هذا! لئلا يوصف من قبل المحيطين به من الرجال والنساء بأنه ضعيف وربما يقولون عنه أنه جبان! وهل يرى -صدام هكذا استطردَ- أن يُوصف بالضعف أو الجبن حتى لو جاء احتماله ضعيفاً.

لم يعد أمام صدام إذن إلا تلقى الرسالة التى جاء مبشرا بها فلم تحرمه عن طريقها محاولات الإخوان المسلمين أوالشيوعين ولم تهزمه عنها عقبة. فقد استخرجت روحه نقية بيضاء من غير سوء من شقاء الريف الموروث وإن كان أمياً فى سنواته الأولى، فقد علَّم نفسه بقرار من نفسه وأراد أن يدخل الكلية العسكرية لكنهم لم يقبلوه هو وعدنان خير الله ابن خاله فى كلية القوة الجوية من قبل بحجة أن نظر عينى عدنان - كما يقول صدام لم يكن ٦/٦ وبحجة نقص فى وزنى ثلاثة كيلو جرامات وأعطونى

مهلة أسبوع واحد لأزيد وزني وهم يعرفون ولعلهم لا يعرفون أن شابا في مرحلة نمو حيث لا "نستله" (اللبن الصناعي) ولاحلويات تؤكل يصعب عليه أن يزيد وزنه ثلاث كيلو جرامات في أسبوع واحد......

في مرحلة لاحقة قبل عدنان في الكلية العسكرية بتسهيل من القوميين والبعثيين كما قال صدام بينما لم يفلح.

ظل صدم - كما يقول - يفتش عن الطريق، ومثل أصحاب الرسالات الكبرى كان المكان موظفا بدلالته ورموزه من أجل الإيحاء بعظمة رسالة المتلقي في العوجة نبتت بذرة المخلص وفي بغداد اهتدى إلى الطريق.

أليست بغداد سرة العراق وضمير الأمة؟ ألم تبدأ الخليقة بولادة النبوة في العراق؟ ألم ينتشر اشعاع أي شمعة وأي قنديل ضوء في أي بقعة في العراق ليضيئا أرجاء الوطن الكبير كلها ويتعديا ذلك إلى ساحة الإنسانية؟ أليس في بغداد سر الدنيا والحياة ومجمع عقل الكون والحياة موروثة عن قرون وقرون منذ سومر وأكد وبابل وآشور؟ أليست بغداد وريثة أول حضارة فتحت للإنسانية شباكاً للرؤية تهتدي إليها وبها حتى العيون العمياء وفتحت على عقول الإنسانية منافذ لتعقل وتشاء وتؤمن بعد أن ترى فتجيب؟

كليم البعث

في بغداد رأى صدام الطريق لكنه أيضا كان كليماً تلقى الرسالة بعد استفسار واستبصار وتحقق. كيف يا صدام؟

-جائنى فى أحد أيام عام ١٩٥٦ من يعرض علىَّ الانتماء لحزب البعث العربىالاشتراكى ويجيب عن أسئلتى وبعد أن وضح وكان يومهاطالبا فى الصف الذى يسبقنى فى المدرسة قلت له: لنتحاور غدا وكان فى ذهنى أن استكمل المعلومات على الحزب رغم أن، ما عرضه علىَّ قد لائم نفسى وروحى.

وبعد ذلك توجه صدام إلى خاله خير الله لتناول طعام الغذاء ثم انتحى به جانبا فى غرفة منعزلة يسأله عن الحزب فأجابه خاله وشجعه علىالانتماء إليه وبعد أسئلة وأسئلة مع نفسه كما يقول صدام ثم مع الشخص الذى فاتحه للانضمام للبعث اتخذ صدام قراره وقال لصاحبه "نعم أقبل أن أنتمى إلىحزب البعث العربىالاشتراكى وسيكون انتمائى إليه بكل كيانيوروحى ولن أحيد عن مبادئه لإعلاء شأن الأمة والشعب، أعطاه صاحبه نشرة عنوانها (بماذا تتسم حركتنا) وفرح صدام بها كثيراً. وقال بيته الأخير:

أنا وأنا وكل المكرمات لنا   من مزننا هطل فى أرضنا المطر

ولم يكن المطر هو الذى هطل فى أرض العراق وخارجها إنما الدماء طبق فصول القصة المتلاحقة والمعروفة والتى بدأها صدام بمحاولته اغتيال عبد الكريم قاسم

الفصل الثانى

الوثوب إلى الحكم

- محاولة اغتيال فاشلة
- مقهى إنديانا بالدقي.. والهروب
- عملاء عبدالكريم قاسم يسعون إلى اقتناصه.
- العودة إلى بغداد.
- أمين عام القيادة القطرية لحزب البعث العراقى.
- انقلاب عسكرى.
- الرجل الثانى فى العراق.
- الرجل الأول فى الحكم.

ربما كان من الإطالة التى لا طائل من وراءها القول إنه فى تكريت منذ نحو سبعين عاماً تزوج حسين التكريتي بأخت خير الله طلفاح، الذى كان يعمل ضابطاً فى قسم الاستخبارات فى جيش الاحتلال البريطاني. ولما كان الزوجان مختلفين فى الطباع فقد استحال بينهما الوفاق وحل محله الشقاق، الذى بلغ ذروته بعد الحمل.... وحيث أخفقت محاولات التوفيق بين الزوجين واستحالت العشرة فقد هجرت الزوجة بيت الزوجية إلى بيت أخيها. وفى ٢٨ أبريل ١٩٣٧ وضعت الزوجة طفلاً أطلقت عليه اسم صدام وفى بيت خاله طاب لصدام أن يلهو ويلعب غير أن الخال ضاق بعبث الطفل ولهوه فقسا عليه ثم أفرط فى قسوته فهرب صدام إلى بيوت أعمامه فى مدينة الفتحة التى تبعد عشرات الكيلو مترات عن مدينة تكريت مسقط رأس صدام.

كان صدام صبياً كثير الشغب شديد العناد، لا يستمع إلى النصيحة ولا يتبع إلا هواه، فضج منه أعمامه ولم يطيقوه، وآثروا جانب السلامة وأعادوه إلى خاله بعد أن حازوا رضاء صدام بأن أهدوا إليه مسدساً حقيقياً، وألحقه خاله خير الله طلفاح بمدرسة ابتدائية على الرغم من أنه كان يحس بأن صداماً لا يصلح لشئ. كان ذلك فى مدينة الفتحة وفى عام ١٩٤٧، وكان صدام آنذاك فى العاشرة من عمره قضى صدام عشر سنوات فى المدرسة الابتدائية بين هروب وتخلف ونجاح متعثر حتى نال الشهادة الابتدائية فى عام ١٩٥٧ ثم ألحقه خاله بالمدرسة الثانوية فى (الكرخ) فى عام ١٩٥٨ وأثناء قضائه الإجازة الصيفية باغتته السلطات الحكومية بالقبض عليه بتهمة اغتيال سعدون الناصرى ، أحد الشخصيات السياسية

العراقية المرموقة، وظل معتقلاً نحو ستة أشهر ، ثم أفرج عنه وانضم إلى حزب البعث العربى الإشتراكى وهو فى نحو العشرين من عمره، ثم أصبح ضالعاً فى الاغتيالات السياسية وذاعت شهرته بين قيادات حزب البعث. وفى ٧أكتوبر من عام ١٩٥٩ تآمر مع أربعة من رفاقه فى الحزب على اغتيال عبد الكريم قاسم، رئيس مجلس قيادة الثورة وأتموا استعدادهم لتنفيذ الخطة ولكنها باءت بالفشل.

كانت مهمة صدام حسين ستر انسحاب مجموعة الهجوم ولكنه لم يلتزم بتلك المهمة فلم يكد يرى صدام موكب عبد الكريم قاسم حتى بسادر دون وعى إلى إطلاق النيران الكثيفة عليه، وكأنه نسى المهمة المحددة له. وقد أدى إطلاقه المبكر للنيران إلى تنبه حرس الموكب وانكشاف المؤامرة. فتعقب بعض رجال الحرس مجموعة الهجوم وتمكنوا من القبض عليها فيما عدا واحداً لقى حتفه ونجح صدام بعد تلك الواقعة فى أن يختفى عن الأنظار لبضع ساعات. فيما كان يسير فى أحد أطراف بغداد لمح سيارة قادمة فاستوقفها وركب بجوار السائق، ثم هدده بالقتل إذا لم يوصله إلى الحدود السورية فخشى السائق، على حياته وأذعن للتهديد. ولما بلغ الحدود السورية استقل صدام سيارة أخرى إلى دمشق ولم يطل به المقام فى دمشق، حيث غادرها إلى القاهرة، التى حل بها فى يناير سنة ١٩٦٠.

وفى القاهرة ساعده بعض العراقيين فى استكمال دراسته كما احتضنه النظام الناصرى، فالتحق بمدرسة قصر النيل الثانوية الخاصة،إلا أنه لم يبد اهتماماً بدراسته حيث كان يعيش مترفا ومنعماً فى فيللا خاصة وكان ينفق معظم وقته فى الرحلات والنزهة، وارتياد المقاهى لشرب الشاى

ولعب الشطرنج واصطناع دور، الفتوة، إذا لزم الأمر. وأخيرا حصل على الثانوية العامة والتحق بكلية الحقوق ولا يزال حي الدقي الشهير بوسط القاهرة يحتفظ بذكرياته عن صدام حسين الذي عاش فيه ثلاث سنوات، على الرغم من أن أربعين عاما مرت على وجوده هناك عندما جاء للقاهرة هاربا من ملاحقة أجهزة الأمن العراقية، إثر قيامه بمحاولة الاغتيال الفاشلة التي ذكرناها آنفاً ، واستغل صدام فترة لجوئه عام ١٩٦٠ حتى عام ١٩٧٣ لإكمال دراساته التي تركها قبل انضمامه للتنظيمات السرية لحزب البعث الذي كان في طور النشأة آنذاك، فالتحق بمدرسة قصر النيل الثانوية التي تقع في قلب ميدان الدقي، ثم التحق بعدها بكلية الحقوق جامعة القاهرة التي لا تبعد كثيراً عن حي الدقي الذي كان وما زال يعج بالدارسين العرب في هذه الجامعة العريقة.

وأكد أناس كثيرون أن شخصية صدام حسين لا تنسى وأنهم ما زالوا يحتفظون بذكرياتهم معه، لأنه كان من أشهر الطلاب العراقيين بسبب مشاغباته الكثيرة ووجوده على رأس شلة كبيرة من العراقيين يظهر فيها كقائد، فقد كانت شخصيته كما يتذكرون عنيفة جدا وفي الوقت نفسه يتميز بالكرم والعطف على الآخرين فلا يرد من يطلب مساعدته، ودائما ما يظهر قويا وجريئا، لذلك هم لا يصدقون حتى الآن ما بدا عليه من ضعف واستسلام.

وقد كان صدام حسين دائم التردد على مقهى "إنديانا" الشهير وسط ميدان الدقي ويتذكر بعض العاملين بالقهوة، أنه كان أحيانا يحب الجلوس بمفرده على الترابيزة رقم (٤) ليتناول قهوته ويقرأ في كتبه الدراسية، وقد

نشأت بينه وبين "عم حنفي" صاحب المقهى علاقة قوية فقد كان يرحب دائما بصدام عند مجيئه وينصحه بالابتعاد عن المشكلات والسياسة التى كان يتحدث فى أمورها مع عم حنفي فقط "وقد ظلت العلاقة وطيدة بينهما حتى بعد عودة صدام إلى العراق فقد كان يعطف عليه لعلمه بوجود ابنه له مريضة وكان كثيرا ما يرسل له نقودا وهدايا عن طريق السفارة ويعالج ابنته المريضة على نفقته، وكان "عم حنفي" الذى توفى قبل سنوات يردد دائما أن صدام حسين إنسان شهم وجدع.

ويتذكر العاملون بمقهى "إنديانا" أنه بعد تولى صدام حسين الحكم فى العراق جاء إلى المقهى وتناول قهوته على ترابيزته المفضلة وسدد ديونه للجرسونات ودفع بقشيش (٥٠٠ دولار) وترك بعض الهدايا.

ومن عادات صدام حسين اليومية داخل حى الدقى أنه كان يتناول طعامه فى مطعم كبابجى الدقى، وكان يعد له السندويتشات الحاج عبد القادر الخولى الذى يبلغ من العمر ٨٠ عاما ويقول كنت أعامله كزبون عادى فلم أتوقع أنه رجل عسكرى أو أنه سيكون له شأن يوما ما وكان طلبه لايخرج عن ساندويتشات الإسكالوب والروزبيف فى العيش الفينو، فهو لا يحب الأرز أوالخضروات وعندماكان يدخل إلى المقهى يرسل إلى الجرسون للإسراع بالطلب وفى أحيان كثيرة لم يكن يملك ثمن سندويتشاته فكان يؤجل الدفع لأيام لكنه كان حريصا على سداد كل ديونه، وعندما ترقى وتولى منصب رئيس العراق لم أره أبداً.

ويحكى "عم محمد شرقاوى" أشهر سمسار شقق فى الدقى ومن أول المصريين الذين وطد معهم صدام علاقته، كان صدام دائم القلق يحب

تغيير مسكنه كثيراً وأول مرة رأيته قال لي: أريد أن أسكن في مكان غير مشهور ومن الصعب الوصول إليه ولم أسأله عن السر على الرغم من أنني كنت أراه دائماً مع أصدقاء كثيرين في المقهى.

وعندما وجدت له في البداية شقة في إحدى العمارات بجوار الميدان فرح بها وأعطاني السمسرة، وبعد ساعات جائني مرة أخرى طالبا سكنا آخر ووجدته غاضبا فخشيت أن أسأله وأخذته إلى شقة بشارع النيل في الدور الثالث وكنت أعلم أنها شقة لا يحبها معظم الزبائن لكنني فوجئت به يشكرني وأعطاني حقي وهمس في أذني بألا أخطر أحد بمكان سكنه الجديد.

وظل يقطن في هذه الشقة ما لا يقل عن سبعة أشهر ثم انتقل للمعيشة مع حيدر السامرائي في شارع سليمان جوهر في الدقي وجائني مرة أخرى لأجد له سكنا جديداً ووجدت له فيلا في المهندسين خلف نادي الصيد أعجبته جدا وكان إيجارها ٢٢جنيهاً.

عاش بها لمدة عام ثم انتقل إلى الإسكندرية ليعيش هناك في شقة مع بعض زملائه إلى أن حدثت مشكلة كبيرة ومشادة مع زملائه انتهت بانتحار الخادمة وبعدها قال الرئيس جمال عبد الناصر أن مشكلاته كثيرة وقام بترحيله، وهذا ما أكده أصدقاؤه العراقيون على المقهى.

ويضيف "عم شرقاوي" أن العيب الوحيد في شخصيه صدام هو اندفاعه القوي وشغبه الدائم فعندما تحول مقهى "إنديانا" إلى مطعم انتقلت جلساتهم إلى "مقهى البداري" في ميدان الدقي نفسه فكانوا يبدأون جلساتهم بالضحك وتحية القهوجي والموجودين ثم بعد ذلك وخلال

دقائق من وصول صدام وجلوسه يتعاركون ويضربون بعضهم بالكراسي وعندما يسأل أحد عن السبب كان يتعرض للإهانات إلا أنه في ذات مرة حاولت التدخل فصدني طارق عزيز ونهرني فوجدت صدام يمنعه ويقول له بأنني رجل طيب لا أستحق ذلك وفوجئت به في اليوم التالي يصطحب صديقه طارق عزيز ليقدم لي الاعتذار، ويؤكد عم شرقاوي أن بواب العمارة كان من المقربين جداً لصدام حسين لأن البواب كان لا يخبر أحد بوجوده ما عدا أشخاص معينين وبعدما رحل صدام حسين عن مصر كان يرسل أموالا إلى البواب كما أرسل له مبلغا من المال عندما أتى إلى القاهرة عام ١٩٨٩ لحضور القمة العربية، وقد رحل البواب منذ عدة سنوات. ويجمع السكان القدامى على أن صدام حسين لم يكن له أصدقاء في الحي سوى هو والصيدلي لويس وليم صاحب إحدى الصيدليات الشهيرة بالدقي فقد كان صدام دائم الجلوس في الصيدلية مع رفاقه وكان يذهب معه إلى البيت ويجلسان أوقاتا طويلة من الليل وظلت علاقته قائمة به حتى وقت قريب وسافر الصيدلي كثيرا إلى بغداد.

ومن الأشخاص الذين تمتعوا بصداقة صدام حسين الحاج سيد الحلاق الذي يتميز زبائنه بأن معظمهم من العرب الدارسين في مصر وهو يقول عن صدام لم يظهر يوما أنه سيكون له شأن كبير لكنني كنت أشعر دائما أنه رجل عسكري فقد كان أنيقا يرتدي الزي العسكري دون نياشين وكان متواضعا يحلق عندي مقابل ٢٥ قرشا، وحينما يكون مريضا يرسل لي وأذهب لأحلق له في منزله هو وأصدقائه ويدفع لي اجري وأكثر وكان صدام يحب الجلوس عندي خاصة في الأوقات التي لا يكون صديقه لويس

موجوداً وكان يطلب منى الجلوس أمام المحل ومعه أحمد حسن البكر الذى شاركه فى الانقلاب البعثى ضد نظام الرئيس عبد الرحمن عارف وسبقه فى رئاسة العراق، وكان دائم الجلوس مع طارق عزيز ويطلب منى أن أذهب إلى منزل طارق عزيز لأحلق له لأنه لم يكن يعرفنى، وعرفنى على العديد من أصدقائه العراقيين الذين كنت أحلق لهم فى بيوتهم.

وقد يتساءل البعض: كيف كان يعيش صدام فى سكينة وهدوء واستقرار نفسى، مطمئناً فى غدوه ورواحة بينما كان يتعقبه عملاء عبد الكريم قاسم ويسعون حثيثا إلى اقتناصه وحمله إلى بغداد حياً أو ميتاً.

كيف نجد تفسيراً لذلك؟

أن الفترة بين عامى ١٩٦٠ و١٩٦٣ تمثل عند بعض الناس لغزاً محيراً فى حياة صدام حسين، الذى لم يتهيب أخطار الذهاب إلى بيروت ودراسة اللغة الإنجليزية فى معهد شملان البريطانى. ومما يثير العجب أنه أثناء إقامته فى القاهرة لم يتورع عن قتل أحد جيرانه ثم خرج من القضية بحجة القتل الخطأ.

ويثور سؤال آخر: لماذا كان صدام حراً طليقاً فى القاهرة وبيروت ودمشق؟ وكيف كان يحصل على الأموال التى كان ينفقها عن سرف وسفه وعدم إكتراث فى تنقلاته ورحلاته؟

لقد كانت حمايته من مسئولية السفارات البريطانية فى سوريا ولبنان ومصر بفضل خاله خير الله طلفاح. كما كان نظام جمال عبد الناصر

يحميه ويغدق عليه المال ويضفى عليه صفة "لاجئ سياسى" حيث كان عبد الناصر يكره عبد الكريم قاسم ويعتبره عدواً لدوداً.

وفى ٨ فبراير ١٩٦٣ وقع انقلاب عسكرى فى بغداد قام به ائتلاف من مجموعة عبد السلام عارف والبعثيين، وقضى الانقلاب على عبد الكريم قاسم ونظامه، فعاد صدام حسين إلى بغداد فى نوفمبر سنة ١٩٦٣، وأصبح عضواً قيادياً فى حزب البعث، ثم التحق بكلية القانون فى جامعة بغداد ليحصل منها - بعد معاناة - على إجازة القانون.

كان صدام حسين يأنس ضعفاً فى شخصية عبدالسلام عارف، وكان يعتقد أن من السهل القضاء عليه فوضع مع بعض رفاقه خطة لاغتيال عبد السلام عارف، الرئيس الجديد للجمهورية، واستعدوا تماماً لتنفيذها بيد أن الخطة فشلت لأن الملازم "ناجى مجيد"، الذى كان مكلفاً بنقل صدام ومجموعته إلى مكان اجتماع الحكومة برئاسة عبد السلام عارف لنسفه بمن فيه أثناء الاجتماع، تم نقله إلى جهة أخرى قبل تنفيذ عملية الاغتيال بفترة بسيطة.

وبعد إخفاقه فى تنفيذ خطة الاغتيال، توجه صدام حسين، كعضو قيادى بارز فى حزب البعث فى العراق، إلى سوريا حيث اجتمع بميشيل عفلق، مؤسس الحزب ومنظره، أخذ يحتال عليه بالإغراء تارة وبالتعزيز تارة أخرى، حتى أقنعه بضرورة شطر الحزب إلى قيادتين: احداهما فى دمشق والأخرى فى بغداد متذرعاً بحجة ضمان الفاعلية والإيجابية وإذكاء روح التنافس بين القيادتين هذا فى الظاهر أما فى الباطن فقد كان صدام يخطط للوثوب إلى رئاسة الحزب فى العراق. وكان سبيله إلى انتزاع

القيادة قيامه بسلسلة من الاغتيالات الخاطفة بمعاونة مجموعة رأت فيه رمزاً للجسارة وسرعة الحسم. وقد مهدت له تلك الاغتيالات، التى تشمل مجموعة من المنافسين له على الزعامة، سبيل الوصول إلى مركز "أمين سر الحزب" فى سنة ١٩٦٤. وبعد أن أصبح الطريق ممهداً والجو خالياً رفعه مؤيدوه إلى منصب "أمين عام القيادة القطرية لحزب البعث العراقى".

وقد تكون مكتب الحزب من شخصيات بارزة زائفة الصيت كان صدام يحسب لها حساباً كبيراً، وكان فى نفس الوقت يضمر لها الشر، ويتحين الفرص السانحة للقضاء عليها، وكان من تلك الشخصيات : عبد الخالق السامرائى، وعبد الكريم الشيخلى، وصالح مهدى عماش، وطه الجزراوى، وعزت مصطفى ، وعبد الله سلوم.

بعد ذلك حدد صدام حسين لنفسه هدفاً جديداً لمرحلة جديدة،وكان هدفه وصول حزب البعث برئاسته إلى الحكم لذلك كرس كل جهد ونشاطه السياسى الحزبى لتحقيق هذا الهدف. وفى سبيل سعيه الدائب للوصول إلى السلطة عمل صدام حسين لنفسه هدفاً جديداً لمرحلة جديدة، وكان إضعاف سياسة عبد السلام عارف، رئيس الجمهورية ومهاجمتها كلما أتيح له ذلك، ثم تآمر على اغتياله فى عام ١٩٦٦ فى حادث طائرة هليكوبتر . وبعد أن تولى الحكم بعد شقيقه عبد الرحمن عارف استمر صدام فى انتهاج نفس سياسة الإضعاف والهجوم التى اتبعها من قبل مع عبدالسلام عارف.

ثم تهيأت الفرصة لحزب البعث للوثوب إلى السلطة، إذا نجح صدام وفريق من البعثيين فى التحالف مع مجموعة من العسكريين من أجل

الاستيلاء على السلطة وقاموا بانقلاب عسكرى فى ١٧ يوليو ١٩٦٨، حقق لهم هدفهم. وكان من أبرز أعضاء الحزب: اللواء أحمد حسن البكر، وعبد الرزاق النايف، مدير الاستخبارات العسكرية، وإبراهيم الداوود قائد الحرس الجمهورى. وتولى الوزارة - آنذاك - عبد الرزاق النايف. بيد أن صدام حسين فجر ، بالدس واستقطاب عصابة خاصة به وحده، صراعاً بين أعضاء التحالف. وكان رأى صدام أنه لابد من إقصاء أو القضاء على المعارضين وكل من يتوجس منه خيفة أو يرتاب فيه . وقرر صدام القضاء على المعارضين بالاغتيال. ومثال ذلك عبد الرزاق النايف الذى عينه المتآمرون رئيساً للوزراء فى ١٧ يوليو ١٩٦٨، ولم يستمر فى المنصب أكثر من اثنى عشر يوماً ثم طرد من منصبه بعد أن لاحقته الوشايات والافتراءات وبعد طرده نفى إلى لندن فى ٣٠ يوليو ١٩٦٨ ثم اغتيل هناك فى ١٩٧٩ بعد وصول صدام إلى سدة الحكم.

أصبح صدام حسين الرجل الثانى فى السلطة، وإن كان الواقع يقول إنه كان يمثل محوراً ويقوده، وكان محور صدام أقوى كثيراً من المحور الآخر الذى كان يمثله أحمد حسن البكر. وعندما استخدم عدنان حسين وزير التخطيط آنذاك إصلاح البعثية العاقلة والبعثية المتهورة فى أحد الاجتماعات الحزبية فسر الكثيرون من محور صدام حسين هذا الاصطلاح بأنه يعنى المقارنة بين مجموعة أحمد حسن البكر ومجموعتهم.

كانت طموحات صدام لا تقف عند حد فسعى إلى التخلص من أحمد حسن البكر الذى أجبر على الاستقالة لأسباب صحية فى حركة يوليه ١٩٧٩ وفى اليوم التالى لاستقالته كانت مجموعته فى السلطة تحاكم بتهمة التآمر

لقلب نظام الحكم وبينهم عدد من الوزراء. وقد جرى مشهد إعدامهم فى مهد رهيب. أما أحمد حسن البكر فقد انتشرت الشائعات عن اغتياله بالسم فى ٤أكتوبر ١٩٨٢.

وأخذ صدام يتخلص من رفاقه الذين كانوا معه فى القيادة القطرية لحزب البعث عام ١٩٦٦. ومن هؤلاء الرفاق عبد الكريم السامرائى، وقد أعدمه صدام فى ٨ أغسطس سنة ١٩٧٩، أى بعد تسلم صدام السلطة رسمياً فى ١٦ يوليو ١٩٧٩. أما عبد الكريم الشيخلى، الذى كان وزيراً للخارجية العراقية، ثم سفيراً لبلاده فى الأمم المتحدة، فقد استدعاه صدام إلى بغداد فى أول أبريل سنة ١٩٨٠، ثم أعدمه فى منتصف نفس الشهر، وأما فواد الركابى، الذى دبر خطة اغتيال عبد الكريم قاسم سنة ١٩٥٩، فقد زج به فى السجن ثم قتله غيلة فى عام ١٩٧٣. ثم توالى مسلسل الإعدام، فأعدم كل من : غانم عبد الجليل، وزير التعليم العالى، ومحمد محجوب، وزير التربية، ومحمد عايش، وزير الصناعة، وعدنان حسين الحمدانى. وقد تم إعدام هؤلاء فى يوم واحد هو الثامن من أغسطس سنة ١٩٧٩. وفى ذات اليوم أعدم صدام ستة وخمسين بعثياً. وهكذا اتخذ صدام من الإعدام الوسيلة الأساسية لتأكيد وتثبيت دعائم حكمه.

بعد أن انفرد صدام حسين بالسلطة بذل غاية جهده لتحويل العراق إلى دولة بوليسية تدار فيها أجهزة الحكم من خلال الأساليب الاستخباراتية التى تمارسها أجهزة الأمن والأجهزة السرية التى أنشأها صدام وأسبغ عليها مزيداً من النفوذ والقوة والصلاحيات التى شملت كل أوجه الحياة والنشاط فى العراق. كما مارست أجهزة حزب البعث من خلال أعضاء

وكوادر وخلايا الحزب السيطرة على الجهاز الحكومى ومؤسسات الدولة. أما القرارات السياسية فكانت تتخذ من خلال دائرة مغلقة يرأسها صدام حسين بعيداً عن أية صيغة شرعية تعبر عن رغبات وأماني الشعب العراقى.وكثيرا ما كان يتخذ صدام بمفرده أخطر القرارات السياسية دون أن يكون للتنظيمات الشعبية الشكلية أى دور فيها.

وتركزت السلطات فى جهاز الدولة البعثية كجهاز سياسى وإدارى وحيد تدور التنظيمات السياسية فى فلكه. غير أن حزب البعث الحاكم صادر كل امكانات العمل السياسى لغير أعضائه، ثم صادرت مجموعة صدام حسين الحاكمة دور الحزب باستثناء المليشيات العسكرية التابعة ... ومن ثم فقد العراقيون إمكانية العمل السياسى داخل العراق. وأصبح صدام حسين صانع القرار السياسى الوحيد وتبارت أجهزة دعايته فى الإشادة بحكمته ومباركة وتأييد قراراته وإضفاء صفات العبقرية عليها. وتقوم الأجهزة الأمنية بإدارة الأجهزة الدعائية ، كما يتتبع جهاز الاستخبارات اتجاهات الرأى العام ويرصد أية بوادر معارضة وردود الفعل الناشئة عن الأزمات والمشكلات المختلفة.

ويرى المفكر العراقى د. **مصطفى الفيلالى** أن صدام حسين من منطلق إحساسه بعدم تمتعه بأدنى قدر من شرعية الحكم، وعدم تمتعه بأدنى قدر من المؤهلات أو الكفاءات التى تؤهله للقيادة السياسية، أو تؤمن استمرار حكمه فإنه من خلال أسلوب حكمه يلجأ إلى أحد أمرين: أولهما استخدام عملاء لملء المناصب الحساسة داخل قطاعات الدولة وخصوصاً داخل الجيش، وحتى أجهزة الأمن نفسها، وزرع أشخاص ذوى ولاء شخصى

مباشر له، والذين يشكلون عادة حجاباً حاجزاً بينه وبين الجماهير، كما يشكلون فى الوقت نفسه أداة للفساد، نتيجة اضطرار صدام إلى مواصلة العطاء والإغراءات لهم لمواصلة دورهم حفاظاً على ولائهم المشترى. وثانيهما اعتماد صدام على إنشاء أجهزة أمن وقمع متعددة ومتداخلة الاختصاص فى معظم الأحيان وثقيلة اليد على حريات وحقوق الأفراد والأقليات وقوى المعارضة السياسية والاجتماعية.

ويتم ذلك تحت إدعاءات وشعارات لا نهاية لها، يأتى فى مقدمتها أن "أمن الثورة المزعوم" فى مقدمة الأولويات وقبل كل شئ، لذلك تدار الدولة وكأنها ثكنة عسكرية ضخمة يجرى فيها التركيز أولا على أمن النظام، وهى ظاهره تقف بالضرورة حاجزاً منيعاً فى وجه الممارسة الديمقراطية الحقيقة، كما تفرض على المعارضة أن تلجأ إلى الوسائل الانقلابية للتعبير عن رأيها.

أتاح صدام لنفسه سلطات كبيرة وصلاحيات واسعة واعتمد على أجهزة الاستخبارات لتأمين نظامه، وأصبحت القوة العسكرية الدعامة الأساسية لهذا النظام والوسيلة المثلى لفرض سلطته وهيمنته. كما لعبت أجهزة الاستخبارات دوراً أساسياً فى السيطرة على الصراعات والقيام بأعمال التصفية الجسدية والاعتقالات وتهريب الأموال. وذلك مهد الطريق لأن تتحول أجهزة حزب البعث الصفوة الحاكمة من بنى تكريت إلى دولة استخبارات حيث رأى حزب البعث العراقى ضرورة وضع أجهزة الأمن من تحت إشراف الحزب وحيث كان حزب البعث الحزب الوحيد فى العراق فقد أتاحت له الأوضاع السائدة الهيمنة على إدارة شئون البلاد،

وبذلك تحول نظام الحكم إلى حكومة استبدادية قمعية وأصبحت المهمة الأساسية لأجهزة حزب البعث تكريس الجزء الأكبر من جهودها وطاقاتها لملاحقة وتتبع المعارضين السياسيين وتصفيتهم.

الفصل الثانى

القصة الكاملة لخيانة واعتقال صدام حسين

- خطة الـ (C.I.A) التى أدت لاعتقال الرئيس العراقى صدام حسين.
- ما السر وراء إعلان حزب طالبنى خبر اعتقال الرجل من طهران.
- لماذا تأخرت الإدارة الأمريكية فى إعلان خبر القبض على صدام.
- بريمز نقله إلى واشنطن ورامسفيلد طلب عرضه فى قفص حديدي.
- تخدير الرئيس العراقى ورفاقه.
- لماذا تم تحريله مرة أخرى إلى العراق.
- دور الموساد فى إلقاء القبض عليه.
- ماذا قال لحظة اعتقاله؟
- لقاءه بأعضاء مجلس الحكم.
- من هو الخائن؟!!

كانت آخر كلمات محمد الدورى المندوب الدائم للنظام العراقى فى مجلس الامن "انتهت اللعبة" وذلك عندما أحاطه صحافيون فضوليون خارج منزله فى مدينة نيويورك الأمريكية ليلة التاسع من أبريل ليلة سقوط بغداد ثم جاءت نهاية اللعبة بعد ثمانية أشهر فقد سقط صدام حسين وسقوط القادة والزعماء له دوى يهز العالم سقط صدام بعد أن ظننا أن نهايته بعيدة وأن العثور عليه حيا هو المستحيل سقط صدام ولربما (أقول لربما) سقط حلم تواصل الكفاح العربى ضد الهيمنة الأمريكية لتحرير العراق، جاءت النهاية التى أحبطت الكثيرين فصدام يا سادة تحت أى ظرف من الظروف قائد عربى مسلم يمثل دولة عربية شقيقة حتى لو اختلفنا جميعاً معه، لكنه يظل فى نهاية الأمر مواطن عربى مسلم قاوم الأمريكان لفترة من الفترات بجبروت وعناد ولا أحد يمكنه إنكار ذلك.

ولكن كيف سقط صدام؟.....

اختلفت الآراء فى ذلك .

الدكتور ظافر العانى يرى أن صدام لم يستسلم والقبض عليه تم بعد معركة عنيفة، ولم يتم العثور عليه فى قبر مظلم وإنما القبض عليه تم بعد معركة دامية فى منطقة "الدور" أسفرت عن استشهاد ١٥٠ من أنصاره ومقتل ٢٥٠ من جنود الاحتلال.

هذا ما كشف عنه الدكتور ظافر العانى(*) فى برنامج "الاتجاه المعاكس" بقناة "الجزيرة".

وقال العانى نقلا عن شهود عيان وما ذكرته مواقع على شبكة الإنترنت إن معركة عنيفة نشبت بين القوة المهاجمة وأنصار الرئيس صدام وعندما فشلت القوة المهاجمة اضطرت لاستخدام الغازات المخدرة لاصطياد الهدف واستشهد العانى بأقوال شهود عيان أكدوا تعرض المنطقة لتأثيرات كيماوية تسبب فى مقتل كل الكتاكيت الموجودة بمعمل تفريخ بالمنطقة. وكذلك نفوق العديد من الخراف والماشية فى المنطقة، وتساءل الدكتور مظفر العانى لماذا لم يتم تصوير عملية القبض على صدام فى القبو كما قالوا إلا إذا كان هناك معركة حربية بالفعل، وأضاف أن الأمريكان استخدموا المخدر للسيطرة على الرئيس وإظهاره بهذا الشكل متعمدين إهانته وإهانة العرب جميعاً.

وقال العانى: إن الغريب أن شعر صدام بدأ أسود عند إظهاره وهو ما يتنافى مع ما هو معروف عند الجميع أن شعر صدام أبيض تماما وأنه كان يقوم بصبغه مرة كل أسبوع تماما كما يفعل كل الملوك والأمراء والرؤساء.

وأرجع العانى قيام الأمريكان برفض إظهار صدام كشخص عجوز أبيض الشعر بأنه كان سيضفي عليه نوعا من الوقار ويطلق عاصفة من التعاطف معه لذلك فإن ما تم هو عمل مخابراتى مخطط لإظهاره بهذا المنظر الذى بدا عليه عند عرض الشريط فى المؤتمر الصحفى.

* أستاذ العلوم السياسية بجامعة بغداد

من جانب آخر أكد الدكتور أحمد عكاشة أستاذ الطب النفسى أن صدام حسين كان تحت تاثير المخدر وقت القبض عليه وعند عرضه فى لقطات مصورة وأن تصرف صدام الهادئ أثناء الفحص الطبى يدل على أنه لم يكن فى إطار شخصيته الطبيعية.

ومن المعروف أن قيام شخص بحركات لتلمس وجهه وجبينه تدل على أنه غير قادر على التعرف على شخصيته، وعلى الجانب الآخر كشف استطلاع أجرته قناة "الجزيرة" بين مشاهديها أن ٩٥% من المشاركين فى الاستطلاع اعتبروا إظهار صدام حسين وعرضه فى وسائل الإعلام هدف أساساً إلى إهانة العرب جميعاً.

وهناك رأى عرض فى صحيفة الأخبار القاهرية فى الصفحة الرابعة عشرة تحت عنوان "فتش عن المرأة...أو البشمرجة" يذهب فيه كاتبه إلى أنه سواء كانت زوجته الثانية سميرة الشهبندر هى التى دلت عليه أو كان اتصاله الأسبوعى بها فى مقرها الحالى بلبنان هو الذى قاد قوات الاحتلال الأمريكى لمعرفة مخبئه أو أن أحد مرافقيه خانه ووشى به أو أن بعض العناصر الكردية من البشمرجة أو غيرها قد تعاونت مع المخابرات الأمريكية والإسرائيلية لتتعقبه كما نشرت صحيفة هآراتس .. فإن المؤكد هو أن الدائرة المقربة من الرئيس العراقى السابق صدام حسين كانت مخترقة إلى حد بعيد، وهو الحد الذى سهل اعتقاله ومن قبل سهل اغتيال ولديه قصى وعدى فى الوقت الذي لا تزال فيه الولايات المتحدة وأعوانها عاجزين عن تعقب أسامة بن لادن والملا عمر رغم مرور أكثر من عامين علىإسقاط نظام طالبان فى أفغانستان.

الغموض الذى أحاط بطريقة اعتقال الرئيس العراقى السابق وعدم بث السلطات الأمريكية أى أفلام عن عملية اقتحام المكان الذى اختبأ فيه أونشرها معلومات عن هوية الشخصين اللذين كان برفقته أثناء الاقتحام أنعش الشائعات والتكهنات فى الشارع العربى فما بين متشكك فى أن الشخص الذى نشرت صوره صدام نفسه ومرجح لأنه أحد بدلائه، وما بين متشكك فى صحة الموعد الذى أعلنه الأمريكيون عن اعتقال صدام وهو السبت الماضى ومرجح لأنه معتقل منذ مدة طويلة بدليل هيئته المرتبكة وشعره الطويل ولحيته وعدم مقاومته والإرهاق وعدم الاتزان الباديين عليه مما رجح أنه قد تعرض لعقاقير مهدئة أو غازات من نوع ما تفقده جزءا من وعيه ربما مثلما حدث مع الزعيم الكردى التركى "عبدالله أوجلان" لدى إلقاء القبض عليه، كذلك ساهمت تصريحات أعضاء مجلس الحكم الانتقالى فى زيادة الشكوك والمخاوف على مصير صدام حسين فقد أعلن هؤلاء أنهم يعتزمون تقديم صدام حسين لمحاكمة عراقية علنية أمام محاكم مجرمى الحرب التى تشكلت فى العراق قبل أيام من اعتقال صدام ونظرا للشكوك فى مدى دستورية هذه المحاكم التى أنشأها مجلس حكم مشكوك فى دستوريته أصلا تزايدت المخاوف من احتمال تعرضه لمحاكم ثأرية لحداثة عهد هذه المحاكم فى العراق وعدم اكتمال تشكيلها وقلة خبرة قضاتها كما حامت الشكوك حول مدى عدالة المحاكمة التى قد يتعرض لها الرئيس العراقىالسابق بعد المظاهرات الصاخبة التى عمت الشارع العراقى أثر اعتقاله مما يوحى بأن الرجل قد حصل على إدانة مسبقة قد تؤثر على رأى القضاة فضلا عن الانطباعات التحريضية التى أعلنها أعضاء مجلس الحكم الانتقالى بعد مقابلتهم مع صدام حسين فى

مكان اعتقاله وترديدهم بأنه تعامل معهم بعلياء شديدة، وتحدث عن زعماء الشيعة والأكراد بل وعن الشعب العراقى بتهكم وسخرية واستهزاء. كذلك فإن ظهور احتمال محاكمة صدام غيابيا حسب تصريح أحد أعضاء مجلس الحكم الانتقالى قد ساهم فى ترجيح مبدأ تبييت النية ضد صدام فبعض رجال القانون والعراقيين أرادوا كبح اندفاع مشاعر العراقيين وحثهم على النظر بموضوعية إلى الحدث، وقال أحدهم فى إحدى القنوات الفضائية أنه إذا أريد محاكمة صدام حسين على جرائم ضد الإنسانية بمعنى الجرائم ضد الأكراد مثلا فعلى القضاء أن يحاكم النظم العراقية السابقة على صدام أيضا منذ عبد الكريم قاسم الذى كان أول من استخدم النابالم ضد الأكراد ومنذ عبد السلام وعبد الرحمن عارف.. وطالب البعض بضرورة إشراك قضاة دوليين فى المحاكم العراقية نظراً للطبيعة الدولية لجرائم صدام ضد الدول المجاورة مثلاً، وتساءل بعض القانونيين عن صحة تقديم صدام حسين لمحاكم دولية وأخرى محلية وعن صحة وقانونية ازدواجية الاتهامات الموجهة ضده لاسيما أن المحاكم الدولية ألغت عقوبة الإعدام بينما لم يحدث الأمر نفسه فى المحاكم العراقية وهو ما أثار التساؤلات حول أسباب تمسك قيادات مجلس الحكم العراقى بالمحاكم العراقية، وعن مدى استعدادهم للتنازل عن حقهم القانونى وتقديم صدام لمحاكمة دولية قد تحرج واشنطن التى سبق ورفضت هذه المحاكم حتى لا يتعرض جنودا للمثول أمامها.

بيد أن القصة الحقيقية لاعتقاله نجدها عند الأستاذ مصطفى بكرى الذى كتب فى جريدة الأسبوع بتاريخ ٢٢ ديسمبر ٢٠٠٣- م فى العدد ٣٥٥ يقول

" فى ساعة مبكرة من صباح الأحد الماضى ١٤ ديسمبر وجه الحاكم الأمريكى فى العراق بول بريمر الدعوة إلى عدد محدود من أعضاء مجلس الحكم الانتقالى، كان اللقاء سرياً وغير معلن، وكان ضمن الحاضرين عدنان الباجه جى رئيس المجلس وموفق الربيعى وآخرون.

بدأ بول بريمر منتشياً تحدث معهم بكل ثقة "لقد ألقينا القبض على صدام حسين، وهو الآن بحوزتنا" لم يصدق الحاضرون الخبر، بدت الدهشة على وجوههم واضحة. كانت الأسئلة تلاحق بول بريمر، هل هذا الكلام صحيح متى حدث؟ وكيف؟ وأين؟ هل تأكدتم أنه فعلا صدام وليس شبيهاً له؟

بعد قليل اصطحبهم بول بريمر إلى مكان سرى يا للهول! إنه فعلا صدام حسين، كان الرجل يبدو كأسد جريح لحية طويلة غير مهذبة شعر الرأس يبدو مبعثرا، وكأن الرجل خرج لتوه من كهف سحيق، نظر صدام حسين إلى أعضاء مجلس الحكم باستهانة ووضع رجلاً على رجل فى مواجهتهم وراح يوجه شتائمه إليهم.

سألوه عن مواقفه حاولوا استدراجه فى الحديث إلا أن إجاباته كانت مقتضبة وتتميز بالسخرية وتعبر عن مواقف عنيدة يرفض الرئيس أن يتراجع عنها.

خرج أعضاء مجلس الحكم من الاجتماع وكأنهم يشاهدون حلما لا يصدق معقول إنه فعلاً صدام حسين نفس اللغة نفس الثبات نفس القدرة على المقارعة. فقط عينان زائغتان تغوصات فى المجهول وكأن الرجل قد أجبر على تناول حبوب مخدرة

بعد قليل بدأ الخبر يتسرب، جرت الاتصالات بطالبانى فى إيران لم يتمهل كان أول من أعلن الخبر من طهران ثم راحت وكالة الأنباء الإيرانية تبث الخبر إلى العالم، تكهربت الأجواء الإعلامية، أعلنت حالات الأستنفار، الكل يتساءل يستفسر المحطات الفضائية بدأت تعد الأفلام الوثائقية تجرى الاتفاقات مع المحليين السياسيين انتظاراً للحظة الإعلان.

بعد قليل راحت الأخبار تتدفق، مصادر مجلس الحكم الانتقالى تعلن أنها على يقين من صحة الخبر، مصادر فى البنتاجون لا تستبعد ثم خرج تونى بلير ليهنئ العراقيين بالقبض على صدام.

انتظر الصحفيون لحظة الإعلان الأمريكى، وجاء الخبر بول بريمر سيعقد وإلى جواره قائد القوات الأمريكية فى العراق الجنرال ريكاردو سانشيز ورئيس مجلس الحكم الانتقالى بالنيابة عدنان الباجة جى مؤتمراً صحفياً فى الثانية من ظهر الأحد بتوقيت القاهرة.

وفى الثانية ظهراً كان بول بريمر يعلن النبأ، انفجرت القاعة صراخاً وهتافاً، فقد بعض الإعلاميين الذين جئ بهم أعصابهم وراحوا يرقصون بصورة هزلية. فتحا لباب الأسئلة وكانت المفاجأة: صدام حسين يظهر فى شريط فيديو جرى عرضه أمام وسائل الإعلام.

نعم إنه هو صدام حسين، نفس العينين ملامح الوجه حركة الرأس ذاتها كل شئ يقول: إن هذا الرجل هو صدام حسين وحتى اللحية الكثيفة لم تقف عائقاً أمام التعرف عليه.

راح العالم يضرب أخماساً فى أسداس وكالات الأنباء والصحف ووسائل الإعلام تطرح تساؤلاتها تفتح أبوابها للمحللين، بينما الشارع العربى راح ينقسم بين من يقول إن هناك أسراراً فى الأمر... ربما كان شبيهه، أو ربما كان هو بالفعل، ولكن عملية اعتقاله سبقت الإعلان بكثير.

كان بول بريمر قد حدد سلفاً موعداً لأحد المسئولين الدوليين لاستقباله فى بغداد، وصل المسئول لكنه لم يجد بول بريمر، لقد أبلغ أن بريمر استدعى على عجل لمقابلة الرئيسي جورج بوش فى الولايات المتحدة.

أبدى المسئول الدولي غضبه، "ان بريمر لم يقدم له حتى مجرد اعتذار لقد أبدى الرجل دهشته من هذا السلوك المتعجرف وأبلغ غضبته إلى من التقوه ليبلغوه اعتذار بريمر".

كان العنوان المعلن لهذا الحدث أن الرئيس الأمريكي جورج بوش استدعىبريمر على عجل للبحث عن خطة لنقل السلطة إلى العراقيين فى تدهور الأوضاع الأمنية والسياسية على الساحة العراقية وقيل فى هذا الأمر كلام كثير.

انطلقت طائرة خاصة من مطار بغداد تقل بول بريمر ومعه وبشكل غير معلن بعض القادة العسكريين وكان هناك على الطائرة "الرئيس صدام حسين"

انطلقت الطائرة من مطار بغداد لنقل مستقليها إلى البيت الأبيض فى واشنطن، لم يكن أحد يعرف باستثناء قلائل أن هذا الشخص الذى جرى التعميه على مظهره هو صدام حسين. فى هذا الوقت أشاع الأمريكيون فى

كل مكان كثيراً من الأخبار حول طرق البحث عن صدام ورسائل صدام وأعوان صدام وخطورة صدام.

كانت أخباراً متعمدة ومعدة سلفا ولكن لم يسأل أحد لماذا توقفت رسائل صدام حسين إلى شاشات التلفاز منذ هذا الوقت؟!

وكانت أخبار رسالة بثتها قناة "العربية" بصوت صدام حسين قد أذيعت خلال شهر رمضان وهى رسالة يبدو أنها أعدت سابقاً وأن عملية بثها فى هذا الوقت الذى كان فيه صدام فى أيدى القوات الأمريكية هو الذى أثار أعضاء مجلس الحكم العراقى الذين تلقوا توجيهات من بول بريمر بإغلاق مكاتب قناة "العربية" فى بغداد عقاباً لها على بث هذا الشريط الذى أعاد صدام لدائرة الفعل بالرغم من أنه كان بأيدى الأمريكان.

كان خبر مقتل عدى وقصى نجلى صدام حسين وحفيده مصطفى فى يوليو الماضى بمثابة الصدمة للأب، لم يصدق الرئيس ما جرى كان يظن أن قراره بإبعادهم عنه يعنى توفير الحماية لهم ولكنهم سلموا من قبل الرجل الذى ظن أنه سيحميهم واستشهد الثلاثة فى معركة أثبتوا فيها صلابة منقطعة النظير اهتز وجدان الأب، ظل أسبوعا كاملاً يرفض تناول الطعام، كان كثير ما يهذى بكلمات غير مفهومة.

منذ هذا الوقت بدأت القيادة العسكرية الأمريكية فى العراق أولى خطوات الخطة الجديدة للبحث عن صدام حسين واعتقاله، كان الخطة تحت إشراف مباشر من الجنرال ريكاردو سانشيز يعاونه فى ذلك الجنرال أودرينو قائد الفرقة الرابعة.

قامت الخطة على افتراض يقول أن صدام سيحاول اللجوء إلى عشيرته وإلى بلدته تكريت من أجل الاحتماء بها خاصة أن الكثير من أفراد الحرس والمرافقين الشخصيين للرئيس بدءوا يبتعدون عن نطاق مكان صدام بعد مقتل نجليه وراحوا يمارسون مهام أخرى فانضم بعضهم إلى فرق المقاومة الميدانية بينما راح آخرون ينظمون أجهزة جمع المعلومات لصالح المقاومة.

كان صدام محبطاً من جراء استشهاد نجليه وحفيده لكنه كان مصمماً على الاستمرار مهماكان الثمن كان يقاوم الاحباط بكل ما يملك وراح يبعث بشريط إلى قناة العربية ينعى فيه ولديه ويعلن استمرار المقاومة حتى النصر.

كانت البداية الأولى عندما تم اعتقال ثلاثة من مساعدي صدام الرئيسيين وهم من الحرس الشخصي له وكانوا على قدر كبير من الأهمية لأنهم كانوا معنيين بتحركات صدام وكذلك المخابئ السرية التى كان يزورها قبل سقوط بغداد، وكان ذلك أمراً مهماً للأمريكيين لأنهم كانوا يعتقدون أن هذه المخابئ توجد تحت القصور الرئاسية بذلوا الكثير من الجهد من أجل كشف أسرار هذه المخابئ إلا أنهم فشلوا.

وكانت الفرقة الرابعة والجنود الأمريكيون يقومون بتفتيش هذه القصور الرئاسية مرتين في اليوم الواحد احتمالا لوصول صدام إليها في أية لحظة وكانت القصور المستهدفة حوالي ٢٠ قصراً أكثرها أهمية تلك القريبة من نهر دجلة.

وأمام هذه المعضلة بدا سيمون درايز أحد أبرز قيادات السى أى إيه فى العراق فى وضع خطة جديدة لاعتقال صدام.

كان درايز يرى أن صدام لن يتعمد المرور فى المخابئ السرية لهذه القصور لأنه يعلم جيدا أن القوات الأمريكية تفرض حصاراً من السياج الأمنى القوى على هذه القصور، وأن أفراد حرسه الشخصيين الذين تم القبض عليهم أدلوا بمعلومات تفصيلية عن المخابئ السرية فى هذه القصور أثناء العمليات العسكرية الأمريكية علىالعراق وأنه يعلم أن الأمريكيين عرفوا جيداً هذه المعلومات وأن صدام لن يكون من الغباء بحيث يستخدم هذه المخابئ مرة أخرى خاصة أن صدام معروف بالذكاء وإجادة التمويه والتغطية على تحركاته كما أنه يعرف جيدا طبيعة الأراضى العراقية.

وقد كتب سيمون درايز هذا التقرير فى أغسطس الماضى وأكد فى تقريره أن الأماكن التى من المحتمل أن يتواجد صدام لن تخرج عن أحد مكانين.

- إما فى منزل أسرة بعيدة عن بغداد وأنه يثق فى هذه الأسرة كثيراً وهى قادرة على حمايته.
- وإما أنه فى منطقة مهجورة وغير مأهولة بالسكان وأن صدام أعد لنفسه مخبأ فى هذه المنطقة، وأن هذا المخبأ سيكون بالقرب من عشيرته وبلدته تكريت.

وكان درايز يرىأن صدام حسين لايمكن أن يكون قد غادر العراق فهذا احتمال بعيد من خلال معرفة شخصية صدام التى تأبى الهروب.

ورأى دارايز بضرورة التركيز على الحرس الخاص ومرافقي صدام الذين يعرفون تحركاته في الفترة القادمة، وكانت الخطة تقول إن البحث عن الكبار وانتقالهم بزعم أن هؤلاء هم الذين سيؤدون إلى اعتقال صدام حسين هي فكرة خاطئة وغير صحيحة.

وكانت فكرة دارايز ترى ضرورة تنحيه.. القوائم والخطط التي أعدها الأمريكيون للوصول إلى مكان صدام خاصة بعد الفشل الذي منيت به هذه الخطط في الفترة الماضية وكانت الخطة الجديدة التي وضعها دارايز تقول: إن "الصيد الثمين" الذي يمكن أن يقود إلى مكان صدام هم قادة الحرس الشخصي والذين لم يتركوه حتى بعد سقوط بغداد.

كانت المؤشرات الأولية التي بدأت تتجمع في أغسطس الماضي تقول إن هناك أشخاصا أكبر أنهم رأوا صدام في جنوب بغداد مرة ورآوه في تكريت مرة وفي عدة مناطق أخرى.

وهكذا راح الفريق الجديد للمخابرات الأمريكية في العراق بقيادة "سوارزكيفان" يجمع خيوطا من المعلومات حول الأشخاص الذين يررون تفاصيل تحركات صدام وكذلك كيفية مشاهدته والأشخاص الذين كانوا يحرسونه كانت المخابرات الأمريكية قد جمعت أكثر من ١٠٠ صورة لـ١٠٠ شخص من الحراس السابقين لصدام والمرافقين لتحركاته وأقربائه وكانت هذه الصور يتم عرضها على الأشخاص الذين يدلون بمعرفتهم لصدام وقربهم منه وكان السؤال المطروح عليهم هو كيف رأوا صدام وكان السؤال الأكثر إلحاحا هو عن الأشخاص الذين يقومون بحراسته ومرافقته وأوصاف هؤلاء الأشخاص والأماكن التي يترددون عليها.

لم تكن المخابرات الأمريكية وحدها التى تواصل عملية البحث عن الرئيس العراقى كان يعاونها أيضا فريق من الاستخبارات الإسرائيلية مكون من عشرة أفراد بمن فيهم رئيس قسم العمليات والاستطلاع بجهاز الموساد. وهكذا وبعد تحقيقات مكثفة وعرض صور الحراس على المقبوض عليهم تأكد لدى المخابرات الأمريكية والإسرائيلية أن صدام لم يبق إلا على اثنين فقط لحراسته، وأنه استبعد كل الآخرين وقد تطابقت الأوصاف التى أدلى بها هؤلاء عن الحراس مع رؤية بعض الأشخاص للرئيس فى تكريت وآخرين عن رؤيتهم له فى الرملة وكذلك فى كركوك، وتحدث المقبوض عليهم عن أن هذين الحارسين كانا من أكثر الذين يثق فيهم الرئيس صدام.

تركزت التحقيقات بعد ذلك فى معرفة كافة التفاصيل عن تحركات هذين الشخصين والسعى من أجل القبض عليهما وأسرهما.

وتجمعت المعلومات التى ساعد فيها أفراد من المخابرات العراقية، واستطاع الفريق الأمريكى - الإسرائيلى القبض على واحد من المقربين للرئيس صدام واسمه "**عصامى عبود**" فى أواخر أغسطس الماضى وجرب معه الأمريكيون والإسرائيليون كافة أساليب التعذيب والقهر النفسى لمعرفة مكان صدام إلا أنهم فشلوا فى البداية وتحت ضغوط نفسية وبدنية عنيفة استمرت ١٨ يوماً متصلة اعترف عصامى عبود بأحد المخابئ المهمة لصدام فى جنوب بغداد.

وشكل اكتشاف هذا المخبأ نقطة محورية وجوهرية فى مسار الخطة الأمريكية التى التزمت بالسرية المطلقة وقد وجد هذا المخبأ فى منطقة

مهجورة وأن المخبأ كان يشبه المخبأ الأخير الذى عثر فيه على الرئيس صدام.

كان المخبأ داخل غرفة ومنها إلى حجرة عميقة، وكانت الحفرة التى تؤدى إلى الحجرة العميقة تبدو وكأنها ضيقة مثل الحفرة التى وجد فيها صدام.

وبناء على معاينة هذا المكان الذى حرص رجال المخابرات الأمريكية أن يحيطوه بالسرية الكاملة وكذلك دخوله والخروج منه بحذر شديد دون المساس بالمقتنيات التى كانت تبدو فى غاية البساطة بداخله أدرك الفريق الأمريكى الإسرائيلى أن يدهم قد اقتربت من صدام.

وأحس رجال الاستخبارات الأمريكية أن صدام يتعامل بذكاء شديد خلال زيارته لهذه المخابئ المهجورة حيث إنه كان يضع علامات دقيقة للتأكد عما إذا كان أحد قد دخل إلى هذه المخابئ أم لا، وكان فى اعتقاده هواجسه الأمنية أن الأمريكيين سينصبون له كمينا فى أحد هذه المخابئ.

وقد أكد عصامى عبود خلال التحقيقات أنه ليس لديه علم إلا بثلاثة مخابئ أخرى فى الرملة وكركوك وجنوب بغداد وبالتالى لم يكن عصامى يعرف شيئا عن مخبأ "الدور" فى تكريت الذى عثر فيه على صدام حسين فيما بعد.

بدأ الفريق الأمريكى - الإسرائيلى يجرى متابعة دقيقة ومكثفة للمخابئ الثلاثة التىأشار إليها عصامى عبود، إلاأن المتابعات أكدت أن صدام لم يتردد عليها نهائياً مما جعل القوات الأمريكية التى كانت تراقب هذه

المواقع يتأكد لديها أن هذه المخابئ مهجورة، وأن المعلومات التى أدلى بها عصامى ليست دقيقة.

كانت هناك فى المقابل وجهة نظر أخرى تشير إلى أن هناك عدد آخر من هذه المخابئ فى مناطق متفرقة من العراق. وأن صدام يستخدمها بالفعل لأنه لم يعد لديه أمل فى استخدام مخابئ القصور الرئاسية أو المخابئ الأخرى الشهيرة التى تتحمل ضربات القنابل الأكثر شراسة.

كان الجنرال "أروس بيكومان" أحد أبرز رجال فريق الاستخبارات الإسرائيلية هو أول من أشار إلى ضرورة البحث عن هذه المخابئ داخل تكريت والمناطق المهجورة حولها وخاصة لدى أقربائه لأن هذه المخابئ من المؤكد أنه سوف يتم حمايتها بأشخاص يثق فيهم صدام كثيراً ويتحرك وسطهم بنوع من الأمان.

وكان التقرير الذى أعده "أروس" مثار بحث دقيق من الاستخبارات الأمريكية وقيادة الفرقة العسكرية الرابعة التى كانت مكلفة بعملية القبض على الرئيس صدام، وكانت هذه الفرقة قد زودت بعناصر من الكوماندوز الأمريكيين يدعمهم أربعة من الطيارين الكوماندوز الإسرائيليين الذين كانوا سيكلفون باستخدام طائرات أمريكية لضرب السيارات التى ستهرب من موقع القتال فى حال إدارة معركة طويلة أثناء عملية القبض على الرئيس صدام، وذلك بذات الطريقة التى يقومون بها لضرب القيادات الفلسطينية وكوادر المقاومة فى الأراضى الفلسطينية خلال تنقلهم بالسيارات.

وقد رأى "أروس" في تقريره أن المكان الذى سيختبئ فيه صدام لن يثير أى شكوك وأن الحراسة الأمنية ستكون بعيدة عنه وأن هذه الحراسة ستكون من أقربائه والمحيطين به.

وبناء على هذا التقرير تم التوجه إلى اعتقال أقارب صدام وأصهاره والحراس الذين كانوا قريبين منه والذين هم من أصول تكريتية.

كان واضحا أن الخطة الأمريكية الجديدة ستقود حتما إلى نتيجة مهمة، ولذلك ظلت قاصرة فقط على بول بريمر والجنرال ريكاردو سانشيز وقائد الفرقة الرابعة والفريق الذى سيقوم بعملية التنفيذ.

كان الأمر يمضى بسرية مطلقة وبدأت القوات الأمريكية في تنفيذ خطة اعتقال أقارب صدام والحرس المنتمى إلى تكريت بسرية بالغة، وكانت تمارس مع المقبوض عليهم كل وسائل الضغوط النفسية من أجل الاعتراف بمكان صدام، وكان عدد الذين سقطوا من آثار التعذيب وأبدوا استعدادهم للتعاون مع القوات الأمريكية خمسة أشخاص في هذا الوقت، ثلاثة منهم من أقارب صدام وواحد من الحرس وآخر من أصهاره.

كان أحد هؤلاء المقبوض عليهم يمت بصلة قرابة مباشرة إلى صدام، وكان أحد أخوال صدام قد مرض مرضاً شديداً. وعلم صدام بهذا المرض فقام في وقت متأخر من مساء أحد هذه الأيام بزيارتين إلى خاله. وكان صدام يتحرك بثقة بالغة حتى أنه في آخر زيارة أخذ معه ابن قريبه إلى أحد مخابئه وأعطاه خمسة آلاف دولار لاستكمال علاج والده.

وكانت الفاجعة أن جرى القبض على هذا الابن فى اليوم التالى والذى يبلغ عمره حوالى ٣٥ عاماً.

مارست القوات الأمريكية ضغوطاً شديدة على هـذا الشـاب وعرضـته لتعذيب نفسى وبدنى رهيب حتى يعترف على المخبأ الذى يتواجـد فيـه صدام، وفى اليوم التالى كان الشاب يعترف حيث أخذهم إلى أحد المواقـع وأشار إلى منزل من طابقين وأكد لهم أنه ظل خارج هذا المنزل عندما قام بتوصيل الرئيس صدام وتسلم منه مبلغ الخمسة آلاف دولار.

وقد داهمت القوات الأمريكية هذا المنزل وقامت بتفتيشه تفتيشاً دقيقـاً استمر لثلاثة أيام فى أكتوبر الماضى،وانتهى الامر إلى اكتشاف مخبـأ مهـم فى هذا المنزل، وكان المخبأ يشير إلى وجود حفرة تـؤدى إلى اتسـاع نحـو حجرة يمكن أن ينام فيها شخص ومـن أعلـى كانـت الحفـرة مغطـاة بالحشائش.

وقد عثر رجال الفرقة الرابعة على آثار حديثة للأكل وأثار أخـرى تـدل على أن صدام يعتاد الإقامة فى هذا المنزل وكان ذلك كفـيلاً بـأن يؤكـد للأمريكيين والإسرائيليين أن الصيد الثمين اقترب.

فى سرية تامة تم نصب عدة أكمنة من أجل الالتفاف حوله والقبض عليه، وقد استمرت هذه المراقبة لمدة أسبوع دون أن تسفر عن شئ.

كان لدى رجال الاستخبارات الأمريكية شك بأن صدام ربما أخـذ علمـا بالهجوم الأمريكى على هذا المخبأ خاصة أن صدام لديه رجاله وهـو إذا عرف أن الأمريكيين هاجموا موقعاً فهو لا يزوره أبداً مرة أخرى.

وفى اليوم الثامن من مراقبة المنزل كانت المفاجأة اقترب أحد حراس صدام وكان من أقربائه من المنزل كان هذا الشخص يبدو أنه مكلف من صدام لاستطلاع المنزل والتأكد من أمه، دخل هذا الشخص إلى المنزل بعد أن تأكد من عدم وجود أحد خلفه ثم اختفى عن الأنظار. فى هذه اللحظة كان هناك رأيان يتصارعان لدى أوساط الفرقة الرابعة، رأى يقول بالقبض على هذا الشخص وإجباره على الاعتراف بمكان صدام الى يختبئ فيه... ورأى آخر كان يرى أن يترك هذا الشخص ويتابع للوصول إلى المكان الذى يختبئ فيه صدام فى الوقت الحالى.

وبسرعة البرق تم ترجيح وجهة النظر الأولى فتم القبض على هذا الشخص وأمام التعذيب الرهيب والتهديد بالقتل بطرق شنيعة انهار هذا الحارس بسرعة كبيرة واعترف بأن صدام سيأتى إلى مخبئه فى هذا المكان بعد وقت قصير للغاية.

نقطة أخرى ساعدت على تحديد المنطقة التى يتردد عليها صدام حسين، فقد استخدمت الفرقة الرابعة أحدث أجهزة التقاط الاتصالات السلكية واللاسلكية، وأن هذه الأجهزة تم نشرها فى مساحة تقدر بأربعة كيلوا مترات حول المنطقة التى يمكن أن يتواجد فيها صدام وأن نوعيات هذه الأجهزة الحديثة تم استخدامها فى وقت سابق بأفغانستان وحققت نجاحات كبرى أثرت على شبكة الاتصالات لتنظيم القاعدة حتى أن قيادات القاعدة تخلت تماماً عن الاتصالات بالمحمول أو التليفون الثابت.

وقد رصدت الاستخبارات الأمريكية اتصالاً خارجياً يعتقد أن صدام أجراه مع شخص ما من مكان ما فى المنطقة ومن داخل سيارة متحركة وهو أمر

أكد للأمريكيين وجود صدام فى هذا المكان... وأن الذى جزم بأن هذا هو صوت صدام كان طارق عزيز والذى أخبر أيضا أن الطرف الآخر فى الاتصال هو زوجته التى كانت تناديه باسم "أبو عدنان" وأن الاتصال استمر حوالى ١٠ دقائق.

لم يكن هناك متسع من الوقت لدى صدام فقد كان هو الآخر على مقربة من المكان ويبدوا أنه شعر بالخطر من المكان الذى كان يختبئ فيه قبل وصوله لذلك مضى إلي مخبئه ظناً منه أن حارسه يعد المكان.. ولم تكن لديه فكرة أن هذا الشخص قد ألقى القبض عليه من القوات الأمريكية وإلا لاتجه إلى مكان آخر.

دخل صدام إلى المنزل ومعه اثنان من حراسه، وحاول الشخص المقبوض عليه والذى يكن حباً كبيراً للرئيس صدام أن يضلل الأمريكيين بعيداً عن الحفرة إلا أن القوات الأمريكية كانت قد توصلت إلى كل المعلومات من قبل حول الحفرة التى تؤدى للغرفة.

فى هذه اللحظة تأكد قائد العملية الأمريكية أنه فعلاً فى طريقهم للقبض على صدام، كان ذلك فى أكتوبر بدا القائد الأمريكى أمام احتمالين.

الأول: أن يكون صدام محصناً بحراسة قوية وأن يدخل الجنود فى معركة قوية وواسعة وهو أمر قد يترتب عليه خسائر فادحة فى صفوف قواتهم.

الثانى: أن يكون صدام وحيداً مع حارسيه كما أكد ذلك الشخص الذى ألقى القبض عليه.

كان الأهم من وجهة نظرهم هو القبض على صدام وعدم تمكينه من الهروب حتى لو أدى الأمر إلى قتله.

كانت الفكرة جهنمية طرحها واحد من قادة الفريق الأمريكى لماذا لا تلقى القبض عليه بواسطة هذا الشخص، أنتبه قائد العملية للأمر وتساءل بلهفة...كيف؟

كان صدام قد كلف هذا الشخص بإحضار كميات من الطعام حسب اعترافات الحارس للقوات الأمريكية له ولاثنين من مرافقيه، هنا كانت الفكرة، قامت القوات الأمريكية بشراء الطعام المطلوب وتم حقنه بمواد مخدرة تؤدى إلى النوم العميق.

بعد وقت قصير قام هذا الشخص الذى كان يسير وفقا للرغبات الأمريكي يحمل الأطعمة التى كلف بشرائها، دخل المنزل، أعطى الأطعمة لواحد من مرافقى صدام الشخصيين وهم بالانصراف العاجل مدعياً وجود أمر طارئ له فى المنزل وأنه سيعود ليلاً.

بعد نحو ساعتين من تناول الاطعمة، كانت المخابرات الأمريكية قد بدأت فى استحضار أجهزة حديثة تأكد من خلالها الأمريكيون أن الأطعمة تم تناولها بالفعل وعلى الفور قامت القوات الأمريكية بمهاجمة المنزل حيث وجدوا الجميع فى حالة نوم عميق فقد كانت الأطعمة مخدرة بنسبة عالية.

كان هناك مصور بكاميرا للفيديو وأخرى للتصوير يقوم بالتقاط المشاهد خطوة بخطوة.

ثم حمل الثلاثة "صدام مرافقيه" وهم فى حالة نوم عميق، الآن تأكد قائد الفرقة الرابعة أن من ألقىالقبض عليه هو صدام حسين، بالفعل جرى التكتم على الأمر وأبلغ بريمر وسانشيز. الكل فى حالة ذهول.

وعلى الفور جرى إبلاغ رامسفيلد، الذى أبلغ الرئيس بوش بدوره وتم الاتفاق على أن يقوم بريمر وبعض القادة العسكريين باصطحاب صدام إلى واشنطن وعدم الإعلان نهائياً عن عملية القبض، بل إن بوش طلب منهم إطلاق التصريحات التى تؤكد صعوبة العثور على صدام حسين، من هنا كانت تصريحات بريمر وسانشيز وقادة آخرين كانوا يرددون دوما أن البحث عن صدام كالبحث عن إبرة وسط كومة من القش.

يومها أبدى المراقبون دهشتهم من معنى وفحوى هذه التصريحات إلا أن كافة التحليلات قادت إلى رؤية واحدة تقول إن القوات الأمريكية غير قادرة على الإيقاع بالرئيس العراقى وأن اليأس أصابها من ندرة المعلومات وأن الرجل تاه وسط الزحام وأصبح العثور عليه هو بالفعل كمن يبحث عن إبرة فى كومة من القش.

الآن وصلت الطائرة التى تقل بريمر ومعه صدام حسين إلى واشنطن، تم اصطحاب صدام حسين فى سرية بالغة إلى مكان داخل العاصمة الأمريكية.

كان بوش يريد أن يرى صدام ذليلاً راكعاً قبل الإعلان عن خبر اعتقاله وهذا هو السر الحقيقى فى اصطحاب صدام إلى الولايات المتحدة.

كان رامسفيلد هو الذى طلب من رجاله فى العراق أن يأتوا بصدام حسين إلى واشنطن بأقصى سرعة.

ومنذ القبض علىصدام الذى رحل فى سرية إلى زنزانة معزولة بالقرب من مطار بغداد قبل السفر إلى واشنطن وهو يحصل علىجرعات مكثفة من الحقن المخدرة التى تذهب بالعقل فى بعض الأحيان تجعل من يتعاطاها يدخل فى نوم عميق لفترات طويلة.

كانت هذه الحقن المخدرة تحتوى على خلطة من الهيروين والكوكايين بالإضافة إلى مواد كيماوية أخرى، والمدهش أن هذه المادة المخدرة ليست من انتاج المخابرات الأمريكية وإنما هى إنتاج إسرائيلى صرف، وأن المخابرات الإسرائيلية درجت على استخدامها مع القادة الفلسطينيين الذين يتم إلقاء القبض عليهم واستجوابهم.

كانت الجرعات المكثفة رهيبة ومؤثرة للغاية فبعد أن يسلم المتعاطى نفسه للنوم العميق عندما يصحو يشعر أنه مسلوب الإرادة وغير قادر على تذكر الأحداث، كما أنها تشيع التفاؤل لدى الشخص فيتحدث وكأنه مع أصدقائه ومعارفه أما الشخص الذى يعتاد على هذا الحقن التى تسمى "سيراكس" فهو على استعداد لأن يفعل أى شئ مقابل الحصول على جرعة منها، وأن الأمريكيين بدءوا فى استخدام هذا النوع من الحقن منذ اللحظة الأولى لاعتقال صدام.

ثمة سؤال يطرح نفسه عليك الآن عزيزى القارئ وهو ما الذى دفع الإدارة الأمريكية أن تتأخر فى إعلان نبأ القبض إلى هذا الوقت؟

كانت الرؤية في البداية أن يدعو الرئيس بوش إلى مؤتمر صحفي عالمي في البيت الأبيض وبجواره بريمر يعلن فيه عن خبر اعتقال صدام. وفي هذا المؤتمر كانت هناك مفاجأة من النوع الثقيل "صدام حسين داخل قفص حديدي". وكان الذين سيقومون بأداء هذا المشهد هم جنود الوحدة الرابعة مشاة بالإضافة إلى قائد العملية الذين نفذوا الخطة ونجحوا في إلقاء القبض على صدام حسين.

وكان بوش ينوي أن يقدمه فرداً فرداً إلى الرأي العام خلال مؤتمره الصحفي، وأن يكون صدام داخل القفص الحديدي مخدراً إلى حد سلب إرادته تماما.

كان هذا هو التخطيط الأولي الذي طرحه رامسفيلد على الرئيس جورج بوش، وكان بوش في البداية يبدو مقتنعا بهذا السيناريو السينمائي المثير وذلك حتى تظهر أمريكا أمام العالم وكأنها اليد الأقوى التي أنهت أسطورة صدام داخل قفص حديدي.

وبعد وصول بريمر إلى العاصمة الأمريكية مصطحباً صدام عقد الرئيس بوش اجتماعا مع مستشاريه ومساعديه في حضور بريمر وقيادات الأمن القومي والقيادات العسكرية في العراق، وشارك في هذا الاجتماع رامسفيلد ورايس وباول.

كانت كونداليزا رايس مستشارة الأمن القومي متحمسة لفكرة دونالد رامسفيلد وزير الدفاع في إظهار القوة الأمريكية وظهور صدام في حديقة البيت الأبيض أمام وسائل الإعلام داخل القفص الحديدي.

طلبت كونداليزا رايس أن يجرى إعداد مسرح ويتم تغطيته بأغطية من كل جانب على شكل ستائر، وأنه وبعد عشر دقائق من استرسال بوش فى خطابه أمام المؤتمر الصحفى وبجواره بريمر والقائد العسكرى سانشيز، يعلن الرئيس الأمريكى لحظة الانتصار الحاسمة باعتقال صدام. وفى هذه اللحظة تحديدا يتم الكشف عن صدام مكبلاً داخل القفص الحديدى.

كان كولن باول وزير الخارجية يبدو غير مقتنع بحديث رامسفيلد وكونداليزارايس، أبدى اعتراضه الشديد على سيناريو القفص الحديدى واعتبر أن تنفيذ ذلك السيناريو لن يكون موجها ضد صدام وإنما رسالة موجهة لكل الشعوب العربية وقال بلهجة غلبت عليها الحدة إن هذا المشهد الذليل لن يقبله العراقيون أنفسهم بل حتى أعداء صدام سيرفضونه، وأن ذلك سيؤدى إلى حدوث اضطرابات أمنية بالغة قد تصل إلى حد الثورة فى داخل العديد من البلدان العربية.

وتحدث بول بريمر قائد الإدارة المدنية الأمريكية فى العراق وأيد وجهة نظر كولين باول، وطلب ضرورة مراعاة الحالة النفسية للعراقيين الذين حتى وإن اتفقوا على عدم حبهم لصدام إلا أنهم سيرفضون إذلاله إلى هذا الحد.

أما رامسفيلد ورايس فقد كانت وجهة نظرهما أن هذا الإذلال سيؤثر على معنويات المقاومة العراقية وينال منها وأن ذلك من شأنه أن يدفع كل هذه العناصر إلى إلقاء السلاح بعد ذلك، وأن هذا هو الذى سيعجل باستقرار الأوضاع على الساحة العراقية.

هنا تدخل بول بريمر وقال العكس هو الصحيح فمثل هذا الأسلوب سيزيد من حدة المقاومة العراقية وعملياتها الانتحارية ضد الأمريكيين، وأن الجنود الأمر يكيين، إذا كانوا مستهدفين بنسبة ٥٠% من أفراد الشعب العراقى فإنهم سيكونون مستهدفين بعد هذا الإعلان بنسبة تفوق ٩٠%.

وقد أيد أحد قادة القوات الأمريكية فى العراق ما طرحه بول بريمر وقال إن الأوضاع معقدة للغاية فى العراق وأنه إذا كان صدام مسئولا عن جزء من المقاومة إلا أنه لا يمثل الفصيل الرئيسى فى هذه المقاومة المتشعبة، وإن صدام لم يعد ذلك الرجل القوى الذى تخشاه القوات الأمريكية فى العراق، كما أن أنصاره مشتتون وليسوا عناصر قوية.

ورأى باول أن ذلك الطرح يعبر عن وجهة نظر سليمة وأن المهم الآن هو كيفية الاستفادة من هذا الشخص يقصد صدام ليجيب عن كل الأسئلة الأمريكية الحائرة .

واقترح باول فى هذا الإطار أن يتم تأجيل الإعلان نهائياً عن اعتقال صدام، بل وأن يتصرف بول بريمر وكل المعنيين على أنهم ما زالوا يبحثون عن صدام حتى تنتهى المخابرات الأمريكية بالتعاون مع الأمن القومى تماماً من التحقيقات مع صدام، على أن تبقى هذه التحقيقات سرية ودون اعلان.

كانت وجهة نظر "باول" مفاجأة للجميع، وبعد أن أسهب فى شرح المبررات أنضمت أغلب القيادات العسكرية التى حضرت هذا الاجتماع إلى ما طرحه كولن بأول.

وقد أيد بول بريمر بدوره وجاهة هذا الرأى وقال إنه بعد الإعلان عن اعتقال صدام، بل وأن يتصرف بول بريمر وكل المعنيين على أنهم مازالوا يبحثون عن صدام حتى تنتهى المخابرات الأمريكية بالتعاون مع الأمن القومى تماماً من التحقيقات مع صدام على أن تبقى هذه التحقيقات مع صدام على أن تبقى هذه التحقيقات سرية ودون إعلان.

كانت وجهة نظر "باول" مفاجأة للجميع، وبعد أن أسهب فى شرح المبررات أنضمت أغلب القيادات العسكرية التى حضرت هذا الاجتماع إلى ما طرحه كولن باول.

وقد أيد بول بريمر وبدوره وجاهة هذا الرأى وقال إنه بعد الإعلان عن اعتقال صدام فإن العراقيين وكل الدول العربية سيرفضون أن يتحرك صدام بعيداً عن العراق، وإذا أعلن أنه سافر إلى واشنطن للتحقيق معه فسنواجه بضغوط دولية مكثفة من أجل الإعلان عن نتائج هذه التحقيقات أو المطالبة بأن يتولى هذه التحقيقات العراقيون أنفسهم، الذين سيرفضون بدورهم أن تجرى محاكمة صدام فى داخل الأراضى الأمريكية.

فيما رأى آخرون أن عدم الاعلان عن اعتقال صدام سيوفر الهدوء للأجهزة الأمريكية فى الحصول على اعترافات مهمة من صدام خاصة فيما يتعلق بإمكانات وجود أسلحة دمار شامل أو خريطة المقاومة العراقية وأسرار أخرى عن علاقته بعدد من الملوك والرؤساء العرب وبعض قادة دول العالم وكذلك مصادر تمويل الأسلحة العراقية فى وقت الحظر الذى كان مفروضا على العراق وأيضا صلة صدام بقادة الدول الأوربية وخريطة

مبتكرات وتطورات الأسلحة البيولوجية العراقية وغير ذلك من الموضوعات الهامة التى يجب اغلاقها نهائياً قبل الإعلان عن اعتقال صدام.

وكان من رأيهم أن يتم التحقيق معه من الآن داخل الولايات المتحدة ثم يعاد مرة أخرى إلى العراق ليتم الإعلان عن اعتقاله من هناك.

وتطرق حديث القادة مع الرئيس الأمريكى حول مغزى الإعلان عن اعتقال صدام أو تأجيله على عمليات المقاومة العراقية حيث كان رامسفيلد ورايس يريان أن الإعلان سيؤدى إلى خفض حدة العمليات العسكرية وأن المقاومة العراقية يمكن أن تتوقف أو تستسلم للقوات الأمريكية، وأن هذا سيمهد الطريق للاستقرار السياسى فى العراق إلا أن ديك تشينى نائب الرئيس والآخرين رفضوا هذه الرؤية لأن الإعلان عن اعتقال صدام سيعطى الفرصة لقادة المقاومة العراقية للهروب من الأراضى العراقية، بل إن إبقاء خبر اعتقاله سراً سيمكن القوات الأمريكية من اعتقال كافة عناصر وقيادات المقاومة العراقية التى تبدى تعاوناً ملحوظاً مع صدام.

وعبر هذا الفريق عن وجهة نظره بأنه وبعد انتهاء عمليات المقاومة فإن الجيش الأمريكى فى حاجة إلى المزيد من الضبط والحرص الأمنى، وكل ذلك يستوجب فترة لإعادة ترتيب الوقت.

وبعد نقاش طويل أقتنع الرئيس بوش بوجهة النظر تلك ووافق على تأجيل الإعلان عن القبض على صدام حسين.

فى هذه الفترة منذ القبض عليه وحتى قبيل نبأ الإعلان بقليل فى ١٤ ديسمبر كانت قد مضت عدة أسابيع خضع فيها الرئيس العراقى لتحقيقات مطولة ومكثفة مع عناصر المخابرات الأمريكية التى قامت بنقله إلى أحدث مراكز المخابرات الأمريكية فى فرجينيا، وأدخل لعدة مرات على أجهزة الكشف عن الكذب.

ورغم كافة الإجراءات والضغوط والحقن المخدرة فإن صدام لم يبدى أى نوع من التعاون مع فرق المحققين الأمريكيين الذين توالوا عليه صباحاً ومساء.

وجربوا معه كل أنواع الضغوط النفسية والإغراءات الأخرى من أجل انتزاع المعلومات، إلا أن إجابة صدام على كافة التساؤلات كانت مقتضبة وتتميز بالحدة فى كثير من الأحيان وكثيراً ما كان يصف محققية بأنهم جبناء وأنذال وأنهم محتلون ليس للعراق فقط، ولكن لكل العالم، وكان دائماً يتوعدهم بضربات قاتلة سوف يسددها إليهم العراقيون.

سأله المحققون صراحة عن بعض المواد الأمريكية والتى تسلمها أثناء الحرب الإيرانية- العراقية والتى كانت مخصصة لإنتاج أسلحة دمار شامل، إلا أن صدام أكد لهم أن هذه المواد لم يعد لها أثر منذ انتهاء الحرب مع إيران وقد رفض صدام الإجابة على التساؤلات المرتبطة بالأوضاع الداخلية فى العراق أو الشخصيات القوية التى يمكن أن تعتمد عليها الولايات المتحدة فى داخل العراق أو تلك التى أرادوا من خلالها الحصول على إجابة واضحة عن المكان الذى يحتفظ فيه بمعدات

الجيش العراقي ودباباته التي تزيد على ألفي دبابة ومئات الطائرات التي اختفت فجأة والكثير من الأسرار الأخرى المرتبطة بالتشكيلات العراقية.

كان صدام يرفض بإصرار فحاولوا اغراءه بإبدائهم الاستعداد للإفراج عنه والعيش سراً في أمريكا دون إعلان إذا ما أعترف صراحة وأقر بمكان هذه الأسلحة والمعدات إلا أن صدام رفض الحديث نهائياً.

كان رامسفيلد يتابع بنفسه مع جورج تينيت رئيس جهاز الاستخبارات الأمريكية وقائع التحقيقات مع صدام حسين وكانا يتساءلان دوماً من أين له بكل هذه القوة في الصمود؟ لماذا يرفض التعاون وتقديم المعلومات عن شعب تخلى عنه ورفاق خانوه ومعدات لم تجد نفعاً.

حاولوا إقناعه بالحديث عن أسلحة الدمار الشامل وقالوا له إذا انقذت الرئيس بوش من مأزقه فسنوفر لك كل ما تريد أن الأمر لن يكلفك شيئاً سوى أن تقر بأنك تخلصت من أسلحة الدمار الشامل قبل الحملة الأمريكية على العراق مباشرة، إلا أن صدام كان يسخر كثيراً من هذه الادعاءات ويقول: **لن أجعل بوش يهنأ بانتصار وهمي كاذب، لن أبيع بلدي العراق حتى ولو وقفت وحيداً وحتى لو خانني كل الرفاق والأصدقاء.** بل كانت إجابته مذهلة وكان صموده أسطورياً لذلك لم يتردد دونالد رامسفيلد لأن يخرج في أكثر من تصريح بعد إعلان القبض على صدام ليقول إنه شخص غير متعاون ولا يزال يتمسك بكل مواقفه، وهو ماكرره أيضاً أعضاء مجلس الحكم الانتقالي الذين التقوه في أعقاب القبض عليه بقليل.

بعد حوالي الشهر تقريباً أعادوا صدام إلى العراق مجدداً جاء على متن طائرة خاصة وحوله عدد من كبار ضباط السي أي إيه والفرقة الرابعة الأمريكية مشاة وعدد من الخبراء الأمنيين الإسرائيليين.

بعدها بقليل قرر جورج بوش أن يزور العراق سراً بعد أن أدرك أن الأوضاع الامنية تتجه ظاهراً إلى الاستقرار باعتقال صدام حسين، فكان نشوته واضحة، لكنه لم يرد أن يعلن نبأ القض على صدام في هذا الوقت، ولحين اتمام المهمة كاملة حسب الإتفاق.

لقد كان ملحوظاً بدرجة كبيرة أن الزيارة المفاجئة التي قام بها بول بريمر إلى واشنطن يوم الأثنين العاشر من نوفمبر الماضي، أي قبل ما يقارب الستة أسابيع من الآن مرتبطة ببحث موضوع صدام، حيث ألتقى فور وصوله مع الرئيس الأمريكي جورج بوش وكبار مسئولي الأمن القومي على الرغم من أنه ووفقاً لتصريح أدلى به مسئول رفيع في وزارة الدفاع الأمريكية "البنتاجون" فقد كان من المقرر أن يوجز بريمر للإدارة الأمريكية. وعبر الهاتف الخطط المتعلقة بما وصف تحريك مجلس الحكم العراقي قدماً، وأضاف مسئول البنتاجون قوله: "إن بريمر أراد بشكل ما أن يقضي وقتاً أكثر مع رامسفيلد الذي كان من المقرر أن يغادر واشنطن آنذاك في جولة أسيوية".

ويبدو أن مرور فترة زمنية كافية على اعتقال صدام، واستمرار هجمات المقاومة في تصاعدها بالرغم من ذلك هو الذي دفع بول بريمر لأن يدلي بتصريحات في الخامس من ديسمبر الجاري يتوقع فيها تزايد الهجمات

ضد القوات الأمريكية، حيث تزامنت تلك التصريحات مع قيام وزير الدفاع الأمريكى دونالد رامسفيلد بزيارة مفاجئة للعراق.

وبعد ثلاثة أيام فقط من تصريحات بريمر كان الجنرال ريكاردو سانشيز قائد القوات الأرميكية فى العراق يدلى بتصريحات يقول فيها: إن اعتقال أو قتل الرئيس العراقى صدام حسين لن يضع حداً لهجمات المقاومة العراقية.

مضت الأيام ثقيلة، بول بريمر ينتظر لحظة الإعلان بفارغ الصبر وجاءت الساعة وكان الإعلان الذى قدم فيه شريط الفيديو الخاص بعملية القبض على صدام حسين.

ويبدو أن نشوة النصر جعلت الأمريكيين يكشفون وعن غير قصد عن كذب الرواية التى رووها عن عملية اعتقال صدام حسين.

فبعد مضى كل تلك الفترة من القبض علىصدام كانت أمور كثيرة قد تغيرت ولكنهم نسوا أن يقوموا بتجديد الصور التى أخذوها أثناء اعتقال الرئيس العراقى... وجاءت الصور التى أذيعت على شاشات الفضائيات لتكشف حقائق المسكوت عنه فى عملية القبض والاعتقال.

كانت البداية هى البلح الأصفر الذى دللت عليه الصورة التى التقطت للمنزل والحديقة والأماكن المجاورة، إن كل من تابعوا مشهد الفيلم الذى تمت إذاعته ودققوا النظر فى هذه الصورة تساءلوا عن هذا البلح الأصفر ومعناه خاصة أن أمريكا تعلن أن القبض تمت مساء ١٤ ديسمبر، فهل هناك بلح أصفر فى ١٤ ديسمبر؟!

إن كل من يعرفون العراق يعرفون أن البلح الأصفر يظهر فى الفترة من يوليو إلى أكتوبر من كل عام، ثم يختفى بعد ذلك ولذلك كان هذا الأمر هو الدليل الأول، بل والحاسم الذى يكشف عن كذب الرواية الأمريكية فى الصميم.

وهناك أيضاً الصور التى تم بثها للرئيس صدام حسين والتى بدأ فيها الرئيس ذا شعر طويل، غير مهذب ولحية طويلة غير منظمة، حيث كشفت الصور عن قيام الأمريكيين بصبغ شعر رأس صدام باللون الأسود واختفاء الشيب تماماً فى حين أنهم لم يراعوا ذلك بالنسبة للحيته.

فظهر فيها الشيب واضحاً وتساءل الناس عن معنى وجود شعر للرأس بلا شيب بينما شعر للحية يبدو فيه الشيب واضحاً ناهيك عن بقية المشاهد التى جرى سردها.

بقى أخيراً القول إن قضية صدام حسين تحولت إلى مأزق يواجه الرئيس الأمريكى، هكذا تحدث أحد المحللين الاستراتيجيين، فالرئيس الذى ظن أن القبض على صدام يمكن أن يساعد فى انقاذ شعبيته المتدهورة فى الداخل الأمريكى وجد نفسه أمام السؤال الكبير: ماذا يفعل وكيف يتصرف إزاء صدام حسين؟

البنتاجون يرى بضرورة التخلص من الرئيس العراقىنهائياً وقتله عبر التأثيرات المخدرة، لأن صدام حتى وهو رهن الاعتقال إلاأنه مازال يمثل خطراً علىالأمن العالمى خاصة أن لديه معلومات مهمة عن اتصالاته مع الرؤساء الأمريكيين السابقين والعديد من قادة العالم وأن هذه الاتصالات

لن يتم الكشف عنها لأنها تتضمن العديد من الاسرار التى لا يجوز الاطلاع عليها أو الأفصاح عنها فى خلال تلك الفترة.

ويرى قادة البنتاجون أن صدام يمكن أن يعلن عن هذه الأسرار إذا أتيحت له الفرصة للحديث إلى وسائل الإعلام وإن أكثر ما يهمم الإدارة الأمريكية هو بعض الاتصالات السرية التى جرت بين بوش الأب وصدام حسين وكذلك مضمون هذه الاتصالات التى تكشف عن جانب مهم فى عملية الغزو العراقى للكويت وأن صدام لا يزال يحتفظ بهذه الأوراق كأداة ضغط على الجانب الأمريكى حتى الآن.

ويرى البنتاجون أن هذه الوثائق التى لم يعثر على أى منها فى القصور الرئايسية لا تزال تمثل اللغز الأكثر إثارة لدى الجانب الأمريكى الذى يريد الإطلاع عليها، وأن الرئيس بوش الابن يريد الحصول على هذه الوثائق بأى شكل وأن والده يعتبر أن قتل صدام أفضل من الحصول على هذه الوثائق وكشفها.

وتتخوف الإدارة الأمريكية من أن يكون صدام قد أعطى هذه الوثائق لشخص ثان مازال يحتفظ بها حتى الآن، وإن صدام هو فقط المعنى بالكشف عن أمر هذه الوثائق.

تلك هى الحقيقة التىتكشف زيف ادعاءات بوش وإدارته، وكذب السيناريو الركيك الذى أعد لإخراج فيلم روائى يكشف مدى جهل وتخلف العقليات التى تقف من ورائه، وتلك التى تسير فى فلكه.

وأنا أميل إلى ماذهب إليه الأستاذ الفاضل مصطفى بكرى من أن الخيانة كانت وراء سقوط صدام فلقد اعترف الأمريكيون من قبل بأنه لولا الخيانة ما سقطت بغداد بهذه السهولة.... واليوم يعترفون بأنه لولا الخيانة كان من المستحيل العثور على الرئيس العراقى صدام حسين، ووصف دونالد رامسفيلد وزير الدفاع الأمريكى عمليات البحث عنه بأنه تشبه البحث عن إبرة فى حجرة مليئة بالقش.

وعلى مدار ثمانية أشهر فشل أكبر جيش فى تاريخ البشرية فى اقتناص الرئيس صدام... ولم تنجح الأقمار الصناعية وأجهزة التصنت المتطورة وجحافل الغزاة وطائرات الأباتشى الرهيبة فى الإيقاع بالرجل.... وتم مسح كل سنتيمتر مربع فى مسقط رأس الرئيس العراقى بقرية العوجة بتكريت مراراً وتكراراً وتمشيط تكريت كلها بأحدث الأسلحة والمعدات ولم يتم العثور على الرجل.. وأخيراً نجحت الخيانة فيما فشل فيه خبراء دفاع أمريكا، وهو الدفاع الذى تتجاوز ميزانيته السنوية نصف تريليون دولاراً.

المثيرة المدهشة أن الخائن - المجهول حتى الآن - قدم أعظم خدمة مجانية للأمريكيين. فقد أعلن القومندان بريان مورق مسئول مخابرات الاحتلال فى الكتيبة الأولى من الفرقة الرابعة مشاة أن الخائن لن يحصل على المكافأة المخصصة لمن يدلى بمعلومات تؤدى إلى اعتقال صدام وقيمتها ٢٥مليون دولار.

يقول المحللون الأمريكيون، إن البحث عن صدام كان مصدر إزعاج حقيقى للقوات الأمريكية ولإدارة الرئيس الأمريكى جورج بوش، حيث تم إجراء عمليات بحث مسعورة وغير مثمرة ومحرجة، وقامت القوات

الخاصة وقوات الدلتا والقوات الخاصة التابعة لسلاح البحرية .وقوات وكالة المخابرات المركزية شبه العسكرية بالبحث فى شتى أجزاء البلاد وبحثاً عنه وبدأ فريق عسكرى فائق السرية يعرف باسم "الثعلب الداكن" بعملية بحث سرية عنه، وقام بالتصنت على الاتصالات الهاتفية وعبر موجات الراديو، لكن صدام لم يكن يستخدم الهاتف، ويعترف الأمريكيون بفشل كل هذه الاستعدادت والمحاولات التى تكلفت ملايين الدولارات بلا طائل، وتعلقو بأمل واحد ووحيد، هو أن يخونه أبناء عشيرته، وكان لهم ما أرادوا، وتقدم الخائن المجهول بالمعومات المجانية الثمينة، بل وتمادى فى خيانته بالإصرار على المعلومات بعد أن فشلت عمليات البحث فى البداية.

وحسب مجلة نيوزويك الأمريكية فإن الخائن أكد أن صدام مختبئ فى احدى مزرعتين فى قرية الدورالصغيرة، وتحركت فوراً قوات الفرقة الرابعة مشاة التابعة لجيش الاحتلال الأمريكى للتحقق من المعلومة، وشارك فى العملية ٦٠٠ جندى من قوات المدفعية والقوات الخاصة لاقتحام المزرعتين اللتين أطلق عليهما الاسمين الحركيين "وولفراين[1] وولفراين [2] وقامت قوات الاحتلال بتطويق المزرعتين وقطعوا الطرق الموصلة إليها من مسافة تصل إلى ٥ كيلو مترات، ودخلت القوات الخاصة المزرعتين ولم تعثر على شئ وتوجه الجنود الأمريكيون بأنظارهم إلى المخبر الخائن.. وهنا صاح مرتجفاً: "ثقوا بى..إنه هنا.. يجب أن تواصلوا البحث" ودفعت.. كلمات الخائن قوات الاحتلال إلى أجراء بحث أكثر دقة وبدءوا بتفتيش كل متر مربع من الحقل والمزرعة حتى عثر أحد الجنود على شق فى الأرض تحت سطح مائل قريب من كوخ طينى ملاصق لمزرعة مواشى صغيرة. وكان المخبأ الاخير الذى عثر فيه على الرئيس

العراقى، وأظهر الشق أن هناك باباً مخفيا تحته، وقام الجندى بإزالة بعض الحجارة والتراب ليصل إلى باب من البلاستيك المقوى مغطى بسجادة. وتحت الباب كان مخبأ صدام على عمق ٦ أقدام وهو مخبأ مزود بجهاز تنفس وهكذا أدت الخيانة إلىعملية اعتقال سهلة سهولة سقوط بغداد وبدون اطلاق طلقة رصاص واحدة فى الحالتين.

من هو الخائن؟!

تعددت الروايات والقصص حول هوية الخائن الذى سلم "صدام" وكانت السمة الغالبة لهذه الروايات أنها مبتورة وغير مكتملة ويرجع ذلك إلى التعتيم الذى تفرضه سلطات الاحتلال الامريكى على شخصية الخونة، حرصاً منها على عدم حرق أوراقها الثمينة وسلاحها السرى فى الحرب ضد المقاومة العراقية ومع ذلك فإنها لا تنكر اعتمادها علىالخونة بل أنها تسارع لإعلان ذلك سعياً إلى ضرب الروح المعنوية للعراقيين الرافضين والمقاومين للإحتلال.

والحقيقة التى لا جدال فيها أن قوات الاحتلال لا تعثر فى العراق على الخائن بسهولة بدليل أن قوات الاحتلال التى جن جنونها مؤخراً بسبب تصاعد العمليات الفدائية أقامت منذ٦ أسابيع سوراً من الأسلاك الشائكة حول قرية العوجة مسقط راس صدم وهى القرية التى تبعد ما بين ٥ إلى ١٠ كيلو مترات جنوب تكريت. والتى تبعد أيضا نحو ٥ كيلو مترات عن المخبأ الذى عثر فيه على الرئيس على الرئيس العراقى وحتى اللحظات الأخيرة تكبدت هذه القرية على أيدى قوات الاحتلال كافة أنواع انتهاكات حقوق الإنسان ولكنها لم تبح بسر أبنها صدام. وتم اعتقال ٦٠% من بين

رجال القرية أي حوالي ٦٠٠ رجل وخضعوا لتحقيقات مكثفة كما ألقت القبض على والد القبض على والد ابن عم صدام المطلوب رقم ٦ في "الكوتشينة" الأمريكية الشهيرة التي تضم صور صدم ورجاله واستمرت عمليات الاعتقال لأقارب صدام أسابيع طويلة دون جدوى، ويزعم الأمريكيون أن المخبر الخائن الذي دلهم على مخبأ صدام هو أحد أفراد عائلته وأنه كان مقرباً من صدام.. وامتنعت سلطات الاحتلال عن الكشف عن دوافع الخائن.. وهل وقع عن طريق الترهيب أم الترغيب... ويؤكد القومندان مورق أن أحد رجال صدام هو الذي كشف المخبأ وتم أعتقال هذا الوسيط قبل ساعات من أعتقال صدام ورفض "مورق" الكشف عن الاتصالات والعلاقات التيكانت بين صدام والمخبر الذي خانه كما لم يكشف عن طبيعةالصفقة التي عقدها الخائن من قوات الاحتلال وهل تضمنت العفو عنه أم لا وأكتفى بالقول إنه تورط في عمليات مقاومة الاحتلال وأنه لن يحصل على الـ٢٥ مليون دولار التي رصدت لمن يدلي بمعلومات تتيح القبض على الرئيس العراقي.

وأكد مورق أن صدام كان محاطاً بالعديد من الأوفياء الذين وفروا له الاختباء أكثر من ٨أشهر بعيداً عن أعين قوات الاحتلال وتم رصد أكثر من ٩ آلاف شخص يدورون في فلك صدام من خلال وسطاء يشق بهم ومن خلال شبكة معقدة من العلاقات العشائرية التي تختلط فيها صلات الدم والقربى بصلات المصالح، ويعترف مورق بأن عملية البحث عن صدام بدأ بمطاردة (٤) أشخاص واتسعت بعد ذلك مع استمرار المداهمات وعمليات الاعتقال حتى وصل العدد إلى (٩) آلاف شخص!!.

ومما لا شك فيه أن القبض على صدام حسين يثير مجموعة من التساؤلات المهمة أهمها:-

كيف عاش الرئس العراقى أيامه الأخيرة قبل الاعتقال؟

قبل الإجابة عن ذلك السؤال علينا أن جنوب تكريت، ويقع بالقرب من المكان الذى يطلق عليه العبور، وهى النقطة التى عبر منها صدام نهر دجلة سابحا هرباً من العراق إلى سوريا ثم مصر، بعد مشاركته فى محاولة اغتيال عبد الكريم قاسم عام ١٩٥٩.

وظلت تلك المنطقة مزاراً ومكاناً يخلد فيه الرئيس العراقى عندما تحين ذكراها كل عام.

ويمتلك بستان البرتقال المواطن العراقى قيس نامق الذي اعتقله الأمريكيون ليلة اعتقال صدام وقيل إنه أصيب بنوبة قلبية بمجرد أن اقتحم الأمريكيون منزله وفتشوه مما يؤكد أن هذا المواطن ليس خائناً. وتوجد سقيفة ملحقة بالبستان مكونة من غرفة نوم صغيرة بها سرير حديدى يعلوه الصدأ، وثلاجة صغيرة ومكتبة بها دواوين شعر عربى كثيرة وبعض الروايات المترجمة وكان آخر ما قرأ ه صدام شرح شعر أبى الطيب المتنبى لأنه كان خارج المكتبة.

كما توجد داخل الغرفة ملابس داخلية جديدة من صنع محلى ويبدو أن الرئيس العراقى لم يستخدمها بالأضافة إلى حذاء جديد، أما الطعام فكان غير فاخر ويتكون من بسطرمة معلقة على حبل وعسل نحل وبولوبيف

معلب وفاكهة طازجة من البستان، وملحق بالغرفة مرحاض بلدى به دش وملابس منقوعة فى آنية غسيل.

وتقع الحفرةالتى أعتقل صدام بداخلها على بعد ثلاثة أمتار من غرفة النوم وبها فتحة ضيقة ودرجة سلم طينى واحدة تقود إلى غرفة أشبه بتابوت الموتى ويقل طوله عن مترين ولا يتسع لأن يسدير شخص مثل صدام جسده فيه وبه لمبة نيون صغيرة وشفاط صغير لتجديد الهواء ولا يتسع لتخزين أى شكل لا لسلاح آلى ولا حقيبة أموال كما قيل وتقع فى الخارج حظيرة دجاج كانت قد تحولت إلى صوبة صغيرة مغطاة بقماش بلاستيكى ويبدو أنها كانت مخصصة لمرافقية.

وقد هتف أهالى بلدة الدور متظاهرين ضد الجنود الأمريكيين، ومعلنين تأييدهم لصدام حسين، وهناك آخرون يبكون والأغلبية صامتة تتساءل فى سرها هل مر صدام من هنا وهل اعتقل؟!!

وفى ظهيرة الاحد ذى الفجر الأحمر فوجئ موفق الربيعى عضو مجلس الحكم الانتقال برنين الهاتف فى مكتبة وكان الطرف الثانى فى ذلك الاتصال الحاكم المدنى للعراق شخصياً المدعو "بول بريمر" وبكلمات مقتضبة قال بريمر: استعد لمقابلة صدام حسين خلال الساعة القادمة أنت وبعض من أعضاء مجلس الحكم فوجئ الربيعى بالخبر، وبدون الحصول على تفاصيل أغلق الهاتف واستعد لمقابلة الرجل الذى أعيا مطارديه خلال بحث استمر طيلة الأشهر الثمانية الماضية.. وفى الموعد المحدد كان موفق الربيعى يلتقى فى مكتب بريمر بزملائه عدنان الباجه جى وعادل عبد المهدى وأحمد الجلبى استعداداً للقاء الرئيس العراقى المعتقل وبعد أن

شرح لهم بريمر بعضاً من تفاصيل عملية الفجر الأحمر استقل الجميع سيارة واحدة أخذتهم إلى مطار عسكرى مخصص للمروحيات الأمريكية حيث أقلتهم واحدة طارت فوق بغداد لتحط فى أحد الأحياء السكنية النائية وهناك نزلت المجموعة وقد تملكتهم رهبة فهم مقبلون على لقاء صدام رغم كل شئ.. حاول المقتربون من المبنى المكون من طابق واحد تقديم الدكتور عدنان الباجة جى عنهم باعتباره الأكبر سناً بصراحة حاول كل منهم تقديم زميله... وحده موفق الربيعى امتلك بحاجة أن يتقدم الجمع فى الدخول إلى الغرفة ولكن المأزق الحقيقى هو فى أول لحظة لقاء بين صدام وزواره الشامتين.. هل يلقون عليه السلام؟! .. لا يمكن هل يصافحونه؟! لا يستقيم الأمر فهم يعتقدون أن مصافحة بريمر وبوش أولى من صدام المهم تفتقت عقلية موفق الربيعى عن فكرة جهنمية.. فقد قرر أن يدخل على صدام كما تدخل الندابات على أسرة الميت. بالعويل والصراخ.. فإذا به يصرخ فور دخوله على الرجل الأسير صدام لعنة الله عليك فى الدنيا والآخرة لماذا فعلت بنا كل هذا كيف تواجه رب العالمين فى الآخرة.

وكان صدام فى تلك اللحظات بين الصحو والنوم فقد كان نائماً بعد إرهاق طويل إلا أن جنديا أمريكيا أيقظه لاستقبال الزوار من مجلس الحكم فكان يحاول استجماع أعصابه حينما دخل عليه ذلك الجمع الذى ضم أربعة أعضاء فى مجلس الحكم إلى جانب بول بريمر وريكاردو سانشيز قائد القوات الأمريكية فى العراق.

وهكذا كسر الربيعي حاجز الصمت بين رفاقه وصدام وكان على صدام أن يرد على تلك الزفة.. فما كان منه إلا أن نظر إلى الربيعي باحتقار موجهاً إليه الشتائم بصوت منخفض.

أحمد الجلبي تدخل لتقديم زملائه ولكنه نسي أن يقدم نفسه فتبرع الربيعي بالإشارة إلى زملائه قائلاً: "أعرفك على أحمد الجلبي، ولكن صدام بدا ولو كان يعرفهم جميعاً إلى تلك اللحظة كان الكل وقوفاً بينما صدام كان جالساً على حافة فراشة العسكري المستقدم من مهمات القوات الأمريكية.. واضعاً قدما على الأخرى لاحظ أن الأشاوش الذين حضروا اللقاء قالوا إنه كان ذليلاً منكسراً .. وانتبه الجلبي إلى الموقف فقال لم لا نجلس فأشار سانشيز لجنوده بإحضار مقاعد من الغرفة المجاورة وجلس الجميع بينما رفض بريمر وسانشيز الجلوس وظلا على اللقاء فضلا عن العدسات التي زرعت في زوايا الغرفة لتسجيله.

- ووجه الربيعي السؤال الأول إلى صدام فسأله عن سبب قتله أثنين من مراجع الشيعة الكبار وهما محمد باقر الصدر في عام ١٩٨٠ ومحمد صادق الصدر في عام ١٩٩٩ وجاء رد صدام لاذعا "الصدر أم القدم" دون أن يجيب عن السؤال.

في تلك اللحظات كان صدام يرتدي دشداشة بيضاء وجاكت أزرق نيلي وحذاء خفيفاً أسود وجورباً بنفس اللون وقد بدا حليق الذقن نظيف البدن بعد أن استحم في حمام مجاور لتلك الغرفة التي تبلغ أبعاده مترين عرضاً وثلاثة أمتار طولاً.

وتكتسى حوائطها بالقيشانى الأبيض بينما تبدو قوالب الطوب من بعض أجزاء الحائط التى سقطت عنها بلاطات القيشانى.

وفى الجهة المقابلة للباب يوجد سرير حديدى أسود اللون من مهمات القوات الأمريكية وعلى السرير مرتبة أسفنجية وملاءة بيضا وغطاء واحد فقط للتدفئة لا يوجد فى الغرفة مصدر للمياه إلا أنها تمتلئ بزجاجات المياه المعبأة وعلب العصير التى أحضرت إلى صدام فور نقله إلى هذه الغرفة وعلى طاولة بجانب السرير تجد المصحف وسجادة صلاة وعلبة سجائر وتلك الطلبات الثلاثة الأخيرة كان قد طلبها صدام فور خروجه من حالة فقدان الوعى عقب اعتقاله وأعلى الباب تجد شعاراً لاحظه أعضاء مجلس الحكم الانتقالى فور دخولهم الغرفة.. إنه شعار حزب البعث العربى الاشتراكى، وقد خطه أحدهم منذ سنوات بالطلاء الاحمر "وحدة.. حرية.. اشتراكية" .. وبالتأكيد فإن صدام لا يشعر بالراحة فى تلك الغرفة إلا أنه فى كل الأحوال يدرك ما ينتظره من أهوال على يد المحقق الأمريكى فقد أعلن مسئولون فى المخابرات الأمريكية عبر وسائل الإعلام عن احتمال نقل صدام إلى موقع جديد وتتوافر فيه وسائل الضغط النفسى على صدام وليدلى بمعلومات حول المقاومة العراقية.. متبعين بذلك عدة وسائل.

أولاً: الحبس فى غرفة صغيرة جداً بلون واحد.. وبدون منافذ لمدة طويلة.

ثانياً: الحبس فى زنزانة مظلمة لعدة أيام أو لعدة ساعات كل يوم.

ثالثا: التحكم فى نوع الأكل وفى مواعيد تقديمه وحتى مواعيد استخدام المرحاض الذى سيكون على الرئيس العراقى الاستئذان كلما أراد

استخدام ذلك الوضع اللا أخلاقى تجاه رجل كان يحكم بلداً مثل العراق يجعلنا نهتم بطول الفترة التى سيقضيها على تلك الصورة.. والواضح والمعلن من الأمريكان أنه لا محاكمة قبل شهر يوليو القادم.. وهذا يعنى معاناة أكثر للرجل المريض (٦٦ عاماً) فى محبس لا يليق .. وفى وضع لا يليق.. وفى زمن لا يليق.

واستمراراً للمهزلة التى نعيشها كعرب ومسلمين وبمجرد الإعلان عن اعتقال صدام حسين

- وبسؤاله عن أسباب استخدام قواته للأسلحة الكيماوية ضد الأكراد فى قرية "حلبجة" شمال العراق عام ١٩٨٨، رد صدام بأن هذا العمل نفذته إيران وليس القوات المسلحة العراقية وأودى الهجوم بحياة ٥٠٠٠ كردى. وبالنسبة للمقابر الجماعية التى تضم آلافا من العراقيين فى أنحاء البلاد، زعم صدام أنهم كانوا من اللصوص والفارين من الخدمة العسكرية إبان الحرب العراقية - الإيرانية ثم الحرب ضد الكويت.
- وفيما يتعلق بغزو العراق للكويت قال صدام: إن الكويت جزء لا يتجزأ من الأراضى العراقية.
- وحول عمليات المقاومة ضد الاحتلال الأمريكى أدعى صدام - ضمنا - أنها تتم بأمر منه منذ سقوط بغداد، وقال إن ما هدد به الأمريكيين قد حدث.

وأوضح أنه ألقى خطابا قبل سقوط بغداد قال فيه إن الأمريكيين قد يتمكنون من دخول العراق لكنهم لن ينجحوا فى احتلاله وحكمه وأشار صدام إلى أنه تعهد بقتال الأمريكيين ولو بالمسدسات، وأن هذا هو ما حدث بالفعل.

وأكد عدنان الباجه جى أن صدام سعى إلى تبرير جميع الجرائم التى تمت فى عهده بالإشارة إلى أنه "حاكم حازم" وأن العراقيين تلزمهم شدة حاكم مثله وقال الباجه جى: إنه كان راضيا عن وضعه واتسم بالهدوء وإن ظهرت عليه علامات الإرهاق والتعب.

وقال أحمد الجلبى: إن صدام لم يكن نادماً على الإطلاق على أى من أفعاله خلال الحديث وأضاف أنه بدأ نرجسيا للغاية خلال اللقاء وعاجزاً عن إظهار أدنى قدر من الندم أو التعاطف مع الآخرين، وتساءل الجلبى ساخراً فى تصريحات بعد لقائه مع صدام عن مصيره هو وزملائه الثلاثة لو أن الأوضاع تغيرت فأصبحوا هم الأسرى وصدام هو من يوجه الأسئلة لهم؟

وقال الجلبى: إن صدام لم يكن يتورع لو أتيحت له الفرصة عن تعذيبهم ثم تمزيقهم قطعاً صغيرة بعد أن ينتهى من ذلك، وكان صدام قد تعرف على الجلبى فقط عند بداية اللقاء القصير وطلب منه أن يقدم له رفاقة الثلاثة، وعند تقديم الباجة جى له سأله عن سبب انضمامه لهؤلاء فى حين إنه كان يوماً ما وزير الخارجية العراقى

وأكد الربيعى إن أكثر الأمور أهمية بالنسبة له هو سبب عدم استخدام صدام لبندقيتين اليتين (كلا شينكوف) عثر عليهما فى الخندق نفسه الذى

اختبأ فيه ولم يطلق منهما عياراً واحداً، ولم يدع الربيعي الفرصة تفلت منه فسأل صدام، وعندما ألقي القبض عليك لماذا لم تطلق رصاصة واحدة؟ أنت جبان وجاء رد صدام مليئا بالعبارات البذيئة.

وأوضح الربيعي أنه شعر بالغضب الشديد لرؤية صدام بعد أن الحق دماراً بالعراق بأسر وبحياة ٢٥ مليون عراقي، وقال: إنه لم يدع الفرصة ثم وجه له آخر عبارة في هذا الحديث المقتضب عند خروجه من الغرفة فقال له: "يلعنك الله، قل لي عندما يحاسبك الله يوم القيامة ماذا عساك تقول له عن حلبجة والمقابر الجماعية والحرب العراقية - الإيرانية وآلاف الأبرياء الذين أعدمتهم؟ ماذا عساك تقول؟

الفصل الثالث

رد الفعل العالمى تجاه اعتقال صدام

- رد الفعل الإسرائيلى (شارون يزور بغداد سرا)
- رد الفعل العربى ويلتقى بالرئيس العراقى.
- الشارع الفلسطينى.
- عبد العزيز الرنتيسى
- كتائب العودة التابعة لطلائع الجيش الشعبى.
- الشارع المصرى
- ماذا قال المواطنون المصريون الذين عاشوا فى العراق.
- انصف المصريين فأحبوه والآن يتحسرون عليه.
- أرملة يحيى المشد تتحدث..

رد فعل الشارع الإسرائيلى

- بمجرد الإعلان عن اعتقال صدام حسين، بدت إسرائيل فى حالة نشوة لم تعشها منذ حرب ١٩٦٧، فها هو صدام حسين المخيف بالنسبة لها، والذى أطلق صواريخه عليها فى عام ١٩٩١، ثم قدم دولاراته لدعم المقاومة الفلسطينية كتعبير عن موقفه العدائى المبدئى من المشروع الصهيونى يقع فى قبضة الحليف الأمريكى. حدث احتفلت به الصحف الإسرائيلية ووجدت فيه فرصة للتشفى وإخراج ما فى جوفها ضد الرجل الذى رفض أن يعقد مجرد لقاء مع مسئول صهيونى.

أما السفاح شارون الذى كان على رأس من علموا بالخبر، فأعرب عن سعادته الغامرة، ثم قام(*) بزيارة هى الأولى من نوعها لأى صهيونى، إلى بغداد حيث أصطحبه بول بريمر إلى مقر اعتقال الرئيس صدام وحسب الرواية التىتناقلتها وسائل الإعلام نقلا عن ناصر محمود المقرب من مجلس الحكم العراقى، فإن شارون وصل إلى مطار بغداد فى تمام الساعة الثامنة من مساء يوم الأحد، وطلب من بريمر أن يتيح له فرصة مشاهدة صدام حسين، فما كان من الحاكم الأمريكى إلا أن أصطحبه إلى زنزانة الرئيس وتشير بعض الروايات إلى أن شارون قال لصدام حسين لقد جئت إلى الفرات.. ما رأيك(*)؟

---

* تم نشر خبر تلك الزيارة فى صحيفة الراية القطرية وفى صحيفة الأسبوع القاهرة، وفى صحيفة تركية.
* لاحظ أن الرجل يتحرك من منطلق عقائدى صرف قائم على أساس أن دولة إسرائيل الكبرى من النيل إلى الفرات.

بات شارون ليلته فى بغداد، وربما يكون قد نام فى أحد القصور الرئاسية التى شهدت - فى عهد صدام - عشرات اللقاءات والمناقشات بين الرئيس والقادة الفلسطينيين، ورغم أن المعومات غير متوافرة حول تفاصيل ما قام به شارون فى عاصمة الرشيد فإن المؤكد أن مثل هذه الزيارة لم تكن لتحدث لو كان صدام حراً.

فى الإطار نفسه أعلنت الخارجية الإسرائيلية عن رغبة تل أبيب فى لعب دور فى محاكمة صدام حسين وقال سيلفان شالوم وزير خارجية العدو إن إسرائيل تعرضت لأضرار كبيرة من جراء اعتداءات صدام عليها، ودعمه للمقاومة الفلسطينية أما اللواء عاموس جلعاد منسق العمليات الصهيونية فى الضفة الغربية فصرح لصحيفة "هاتسوفيه" قائلاً: إن ما قامت به القوات الأمريكية من إلقاء القبض على الرئيس العراقى صدام حسين هو رسالة للنظام السورى وللرئيس الفسطينى ياسر عرفات بزعم أنهما يجب أن يتخليا عن ما وصفه بالإرهاب.

وزعم جلعاد أن صدام حسين استغل ثروات العراقيين وخاصة البترول لمصالح شخصية.. مشيراً إلى أنه يجب على الرئيس السورى بشار الأسد أن يدرك ما هية هذه الرسالة جيداً وإلا سيأتى الدور عليه. أما عن عرفات فقال: إنه فهم الرسالة جيداً الآن ونحن ننتظر منه قيامه بمحاربة ما أسماه بالإرهاب الفلسطينى.

وكان عدد من أعضاء الكنيست الإسرائيلى قد أكدوا أن القبض على صدام حسين هو أكبر الإنجازات التى حققها الجيش الأمريكى فى العراق

وبعث الأعضاء بالشكر للقوات الأمريكية على إنهاء حقبة وقوة موصوفه بأحد ألد أعداء الدولة اليهودية.

وعلى صعيد التعليقات الصحفية نشرت "معاريف" تحليلاً بقلم عميت كوهين جاء فيه: "لا عار أكبر من هذا، ولا هزيمة أكثر إذلالا من هذه، لا يمكن لأى خطابة عربية متحمسة أن تغطى المشاهد التى احتلت شاشات التليفزيون.. لايمكن لأى عملية تفجيرية وحشية من إنتاج بن لادن وحزب الله أو الموالين لحزب البعث المتفتت أن تقزم الضرر فى نظرتهم - مسلمون عرب، مقاتلون مقاومة - كانت هذه اللحظة الأكثر بؤساً التى تفجر فيها الشرف شظايا متناثرة.

ليست حقيقة أنه قبض عليه، مثلما هو أمر. الطريقة التى قبض عليه فيها، مرحلة إثر مرحلة. فعلى أى حال كان صدام حسين يضحىبنفسه فى موت قديسين، يقاتل حتى الطلقة الأخيرة، حتى الموت ولكن صدام منحهم الخنوع.. الاستسلام بدل الاستشهاد، وفى غزة وجنين أيضاً يفهمن معنى المشاهد.

الرجل الذى كان رمز التبجح والغرور، الذى هدد بالدم وبأعمدة النار، الذى وعد بعدم الاستسلام أبداً، أهين حتى التراب. ولكن الأمريكيين لم يكتفوا بخضوعه دون شروط، وساهموا هم أيضا بدورهم فى تحطيم صورة الطاغية فبعد أن فحص قبالة الكاميرات، حلقت ذقن صدام فى أحد الأفعال الأكثر إذلالا التى لا يمكن فعلها بشخص مسلم وحتى التلميحات بأن صدام خانه أحد مقربيه جاءت لهز دوائر التأييد الأخيرة التى تبقت له من داخل هذه المهانة، من داخل تبدد الحاكم السابق، قد ينمو عراق

جديد مرمم، هكذا على الأقل يأمل الأمريكيون الذين شاهدوا برضا مشاهد الفرح في أوساط المواطنين العراقيين مع نشر نبأ القبض على صدام ولكن لشدة الأسف لا يدور الحديث عن لعبة نتيجتها الصفر. فأولئك الذين يكرهون صدام، والفرحون لسقوطه، ليسوا بالضرورة محبين للأمريكيين حتى لو أغلقوا الحساب مع الرجل الذى نغص عيشهم فلابد أن القوى الإسلامية التي من غير المتوقع أن تجلس بصمت ولكن أيضا عدداً من مجموعات حرب العصابات العلمانية أوضحت أنها تقاتل من أجل العراق وليس من أجل الرئيس المخلوع، وعليه فإن الأيدى التى وزعت السكاكر فى شوارع بغداد يمكنها أيضا أن تكون ذات الأيدى التى ستمسك غدا بالسلاح ضد جنود التحالف.

وبالمقابل فإن الأمريكيين كفيلون بأن يصطدموا بمسائل جوهرية أخرى تنشأ فى أعقاب غياب الظل المهدد لصدام، فالشيعة مثلا فضلوا حتى الآن الانشغال بترميم الحياة السياسية لطائفتهم التى قمعها حزب البعث. القادة الشيعة لم يرغبوا فى أن يتخذوا صورة من يساعد السنة على إعادة صدام إلى السلطة والآن إذا صار صدام غير ذى صلة فإن بوسع الشيعة أن يشددوا انتقادهم، وإن لم يكن أكثر من ذلك لطرد الأمريكيين من بلادهم. كما أن الأكراد سارعوا إلى الإعلان بأن صدام ما كان ليلقى القبض عليه لولا المساعدة الاستخبارية التى قدموها، وألمحوا بأنهم يتوقعون مقابلاً مناسباً.

ولكن ليوم واحد يمكن للأمريكيين أن يضعوا المشاكل جانباً وأن ينظروا برضا إلى الإنجازات وليس إلى الخفاقات، ففى أقل من سنة، كما وعد

أطيح بصدام حسين من حكمه، وتحطم نظامه إلى شظايا، وحتى لو كانت المجموعات المسلحة في العراق لا تنفعل بالحدث، فإن القبض على صدام يشكل إشارة واضحة لزعماء ودول أخرى بشأن التصميم والقدرة الأمريكية على الرد ضد من يهددونه تهديداً يمثل خطراً علىالاستقرار".

وتحت عنوان **"نهاية عصر صدام"** أوردت نفس الصحيفة تقريراً لا يقل حقدا جاء فيه: "ليس من الواضح إذا ما كان إلقاء القبض على صدام حسين على أيدى القوات الأمريكية بالعراق سوف يؤدى إلى الخفض الفورى من حدة العمليات الإرهابية والعمليات العدائية التي تجرى هناك ضد قوات التحالف وضد المدنيين العراقيين بصفة خاصة، فالدلائل الأولية لا تبشر بخير، فقد واكب بركان الفرحة الذى غمر الدولة مع بث صور صدام الأسير الدرامية وقد ازدان بلحية وحشية، موجة جديدة من العمليات (الإرهابية) المروعة.

ومع ذلك فإننا نأمل أن يقمع القبض على الديكتاتور روح المقاومة بين فلول مواليه الذين كان يحدوهم أمل بأن ينهض نظامه من أنقاضه ويستولى على العراق مرة أخرى. هذا الأمل الضئيل الذى كان يخفق بقلب مؤيدى صدام المعدودين بدا كسحابة سوداء كثيبة تطارد الكثير من ضحاياه وخيال ملايين العراقيين، لقد خيم أيضا هذا الأمل على مشاعر الرضا بسقوط إدارة الطغيان ومنع الشعب العراقى من الاعتراف التام بنهاية العصر المظلم وببداية فصل جديد وواعد في الحياة القومية.

إن القبض على صدام "بعد قتل أبنيه في شهر يوليو وتقديمه للمحاكمة بسبب ارتكاب جرائم حرب والمعاناة التى فرضها على شعبه وعلى الشعوب الاخرى – يجسدان في نظر العراقيين إغلاقاً لدائرة كانت مفتقدة.

وسوف يكون في ذلك إسهام كبير، وربما حاسم – لاستعداد العراق ولقدرته على مواجهة تحدى الديمقراطية الذى تضعه الولايات المتحدة وحلفاؤها أمامه بنجاح.

إن للنجاح الاستخبارى والعملياتى في القبض على صدام أثاراً بعيدة المدى من حيث التدخل الأمريكى، فإلى جانب التخفيف المنتظر في الظروف الأمنية بالعراق، فقد حظيت القوات الأمريكية – ومنحت أيضا مراسليها – بما يشبه التفويض الجديد لاستكمال تحرير العراق وإصلاحه وإعادة إعماره على أفضل وجه. وهذا صحيح أيضاً حتى لو أتضح أيضاً أن الطاغية الهارب لم يكن يدير من داخل ثقبه بالأرض معركة الإرهاب في الأشهر الخمسة الماضية.

لقد حظيت إدارة بوش – التى لم تحقق حتى الآن أية انجازات في إدارة شئون العراق – بعد النصر العسكرى الذى حققته. فالضغوط والشكوك والانتقادات الأمريكية الداخلية سوف تخف حدتها إزاء تحقق أحد أهداف الحرب الرئيسية وهو: الإطاحة الكاملة بصدام حسين ونظامه، وتحقيق هذا الهدف يجعل التزام بوش بمساعدة الشعب العراقى في إقامة نظام حكم ديمقراطى وإصراره على الإبقاء على قواته هناك كلما احتاج ذلك، أهدافاً قابلة للتحقيق.

كذلك مكانة واشنطن على الساحة الدولية قد قويت شوكتها فمعارضو الحرب كجاك شيراك وجيرهارد شرودر كان على رأس المهنئين لبوش لإلقائه القبض على الديكتاتور. ومن المعتقد أنه سوف تتقرر محاكمة صدام على أرض العراق فى محكمة عراقية - وهى خطوة سوف تسهم فى تدعيم السيادة العراقية الجديدة، ونأمل أن ينجح العراقيون والأمريكيون فى إكساب المحاكمة بعداً دولياً عن طريق ضم قضاة أو مراقبين أجانب مشهورين لكى يرى العالم كله عدالة إدانة قاتل الجماهير"

من جهتها نقلت صحيفة "**يديعون أحرونوت**" عن مسئولين صهاينة تأكيدهم أن إسرائيل ستنضم إلى الدعوى الدولية ضد صدام حسين(*) بسبب دعمه المسلحين الفلسطينيين وقصف إسرائيل بالصواريخ خلال حرب الخليج الأولى وقالت الصحيفة إن إسرائيل بدأت بإعداد ملف قضائى ضد صدام حسين فبعد إعلان وزير العدل يوسف تومى لبيد عن انضمام إسرائيل إلى الدعوى القضائية الدولية ضد صدام حسين عقد المسئولون الكبار فى النيابة العامة الإسرائيلية، جلسة خاصة تم خلالها فحص كافة الاحتمالات الورادة.

وشارك فى النقاش كل من المستشار القضائى للحكومة إلياكيم روبينشتاين النائبة العامة للدولة، عدنا أربيل المستشار القضائى لوزارة الخارجية وممثلين ومستشارين عن النيابة العسكرية والنيابة العامة.

---

* شهادة تحسب الرجل من قبل أعدائه بأنه كان الرئيس العربى الوحيد الذى أطلق - حتى ولو - صاروخاً على إسرائيل، وساند الانتفاضة مادياً ومعنوياً فى فترة من الفترات.

وجاء من وزارة العدل أن الموضوع ما زال قيد البحث الأولي، وأن هناك الكثير من الأسئلة المتعلقة بإجراءات محاكمة صدام حسين التي لم تحسمها الولايات المتحدة بعد والتي يتضح من الاتصالات الدولية التي جرت مع الإدارة الأمريكية بأنها ما زالت في بدايتها ولذلك سيتم حسم الموقف بناء على التطورات اللاحقة.

وأشارت وزارة العدل إلى قيام صدام حسين بارتكاب جرائم حرب ضد إسرائيل خاصة إبان حرب الخليج حيث تم قصف المدنيين الإسرائيليين بالصواريخ دون أي تمييز مما أدى إلى سقوط ضحايا وإلحاق أضرار مادية كبيرة".

وفي السياق نفسه علم أن منظمة "الماغور" بدأت بإعداد لائحة اتهام ضد صدام حسين ونظام حكمه، تمثل كافة المتضررين من القصف العراقي لإسرائيل خلال حرب الخليج وقيام صدام حسين بتحويل الأموال إلى عائلات المسلحين الفلسطينيين الذين نفذوا عمليات في إسرائيل.

وبدأت المنظمة بإعداد لائحة الاتهام بعد اعتقال صدام حسين والحديث الجاري حول محاكمته في العراق ،كي يتم تسهيل مشاركةالإسرائيليين في المحاكمة.

وأوضح رئيس المنظمة مئير إندور قائلاً: إذا جرت المحاكمة في العراق فسيتم تفضيل المدنيين العراقيين على الإسرائيليين واليهود إذ سيطلب النظام العراقي الجديد الاعتماد على ثروات النظام السابق ويحاول تقليص حجم الدعاوى الخارجية.

وتنوى المنظمة تقديم دعاوى تطالب بتعويضات تصل إلىعشرات ملايين الدولارات، وقال إندور "لقد امتنعنا عن تقديم دعاوى قضائية ضد العراق، خلال العقد الزمنى السابق، لأننا اعتقدنا أن فرص نجاحنا معدومة ويتضح أننا أخطأنا لأنه كان هناك من قدموا دعاوى وتم تعويضهم بآلاف الدولارات ولن نكرر الخطأ هذه المرة، وحسب أقواله لن تكون مهمة جمع المواد اللازمة سهلة لكن المنظمة ستهتم ببلورة الأدلة وتقديم الدعوى قريباً".

وفى الإطار ذاته نشرت الصحيفة تقريراً حول محاولة إسرائيلية فاشلة لاغتيال صدام حسين فى عام ١٩٩٢ وقالت: إن قوة خاصة تابعة للجيش الإسرائيلى تم تدريبها علىتنفيذ خطة الاغتيال عندما كان إيهود باراك رئيساً لهيئة الأركان العامة للجيش الإسرائيلى أنذاك(*).

وجاء فى النبأ أن وحدة "سييريت متكال" الخاصة الخاضعة مباشرة لإشراف هيئة الأركان العامة للجيش الإسرائيلى، تدربت على هذه العملية التى تضمنت إنزال قوات عسكرية إسرائيلية داخل العراق وإطلاق صاروخ نحو مقر الرئيس العراقى السابق فى حفل عائلى قرب تكريت وجرت التدريبات العسكرية لهذه العملية فى قاعدة التدريبات العسكرية لهذه العملية.

ووفق ما توفر من معلومات فإن باراك أشرف بنفسه شخصياً على تدريبات الوحدة، حتى إنه كان حاضراً عندما وقعت حادثة "تسئيليم" إلا

* هذا إن دل على شئ فإنما يدل إلى أى مدى كان صدام حسين بالنسبة لهم كابوساً مؤرقا لمساعدته أهالى المسلحين الفلسطينيين ودعمه للقضية بكافة الأشكال.

أن الحادثة عرفت آنذاك باسم "تسئيليم ب"، وقعت خلال التسريب أدت إلى مقتل خمسة جنود إسرائيليين تم في أعقابها إلغاء العملية ويشار إلى أن إسرائيل امتنعت حتى الآن عن تأكيد أو نفي أن تلك التدريبات كانت تهدف إلى اغتيال صدام حسين رغم تسرب بعض من هذه المعلومات ونشرها في وسائل الإعلام الأجنبية آنذاك.

ما رد فعل الشارع العربى تجاه اعتقال صدام بهذه الطريقة؟

كان من الضرورى علينا أن نستعرض خبر اعتقال صدام حسين على الصفحات الإسرائيلية لنعلم مدى ما كان يمثله ذلك الرجل لهم من كابوس لطالما حاول التخلص منه حتى سنحت لهم الفرصة على طبق من ذهب في ظل تخاذل عربي مهين وواقع إسلامى مؤلم.

ولكن ما رد فعل الشارع الفلسطينى؟

يرى أن صدام أكبر مساند للقضية الفلسطينية فلقد سادت حالة من الحزن والغضب الشارع الفلسطينى عقب إلقاء القبض على الرئيس العراقى صدام حسين حيث يرى الفلسطينون أن صدام كان أكبر مساند للقضية الفلسطينية. ويروون أن الصورة التى تم عرضها لصدام تمثل إهانة للشعوب العربية وبمثابة إنذار لكل الأنظمة العربية.

ورغم انقسام الفلسطينين فيما بين مصدق لنبأ الاعتقال ومشكك فيه فإنه لا خلاف على أن سقوط رئيس دولة عربية كبرى بهذه الطريقة يمثل إهانة للعرب.

ووفقا لما يقوله إبراهيم على فارس – من سكان خان يونس فإن هناك شعوراً بأن الأمة العربية كلها قد هزمت فى هذا اليوم الذى يعد يوماً حزيناً فى تاريخ الشعب الفلسطينى، فالرئيس صدام كان دعماً للقضية الفلسطينية ووجوده يمثل رعباً للصهاينة، ولم تجرؤ دولة عربية على تهديد أمن إسرائيل مثلما فعل صدام ولهذا فإن يوم سقوطه يمثل سقوطاً للأمة العربية.

سيدة فلسطينية اتهمت كل الدول العربية بالمشاركة فى سقوط بغداد واعتقال صدام وهذا يهدد بسيطرة الأمريكان على الثروات العربية.

وترى هذه السيدة أنه كان الأجدر بالرئيس العراقى أن ينتحر بدلاً من هذه الطريقة المهينة التى سقط بها وتشير إلى أن المقاومة الفلسطينية خسرت كثيراً بسقوط بغداد والقبض على صدام.

أما الدكتور نضال محمد النجار – من سكان مدينة غزة – فيرى أن اعتقال صدام وتصويره بهذه الطريقة يهدف لمساندة الرئيس الأمريكى بوش فى الانتخابات المقبلة والتغطية على الفشل الذريع للقوات الأمريكية فى العراق وأفغانستان ولكن الأمل يبقى فى المقاومة فى الدفاع عن الوطن، ولن تتأثر بغياب رئيس أو قائد كما أن المقاومة الفلسطينية للاحتلال الإسرائيلى ستستمر ولن تهتز.

أما شرفاء الأمة من رجال المقاومة الفلسطينية فيروون أنه كان نصيراً للشرفاء فقد وصف عبد العزيز الرنتيسى القيادى فى حركة المقاومة الإسلامية "حماس" اعتقال القوات الأمريكية للرئيس العراقى

صدام حسين بأنه عملية بشعة وغاية في الوقاحة، واعتبر الرنتيسى عملية الاعتقال مجرد انتصار معنوى ليس إلا، وهى إهانة للعرب جميعاً وللمسلمين قائلا: إن الرئيس الأمريكي جورج بوش سيدفع ثمناً باهظاً لما وصفه بالعطلة.

هذا وقد خرج آلاف من الفلسطينين في خان يونس في قطاع غزة وعدة مدن فلسطينية في مسيرات مؤيدة لصدام حسين وهم يهتفون حاملين صوراً له ومتوعدين بالانتقام.

وأصدرت كتائب العودة التابعة لطلائع الجيش الشعبي إحدى فصائل المقاومة الفلسطينية بياناً يهنئون فيه الرئيس العراقي صدام حسين بشرف المقاومة حيث وصفوه بأبى الشهداء وعميد الشرفاء الذى خاض معركة بطولية استمرت ثلاثين ساعة استعملتّ فيها وسائل التكنولوجيا وغاز الأعصاب وهذا نص البيان للعودة "إذن للذين يقاتلون بأنهم ظلموا وإن الله على نصرهم لقدير" صدق الله العظيم.

يا أمتنا العربية المجيدة، أيها العراق العظيم الشامخ، يا شعبنا هناك نحييكم من قلب فلسطين من أولى القبلتين ومهد المسيح، نحييكم أيها المتقدمون في زمن يتراجع فيه الأقزام، أيها العراق أرض الحضارات والرسالات أرض الجهاد والبطولات .... العراق.. الذى أعطى كل ما لديه من ثروات أرضه ومن دماء أبنائه ومن مستقبله للقضايا العربية ولفلسطين من البحر إلى النهر.

لقد اختار الفدائى الأولى صدام الطريق الصعب وكان بإمكانه أن يحتفظ بمنصبه ... بمجرد توقيع السلام مع إسرائيل وتسليم بتروله لأمريكا.. وبصموده الأسطورى قال لكل العالم "لا لو قطعوا جسدى أشلاء وأجزاء سترفض كل قطعة المساومة مع من دنسوا فلسطين وأرض العراق".

إن ما فعلته الولايات المتحدة من إهانة لصدام قبيح ويمثل إهانة لكل العرب وإهانة للمسلمين. لا أحد يقبل أن يتعرض لإهانة من هذا الحجم على يد أمريكى.. ستزول صورة القتلة وتبقى صورة صدام حسين الذى ما زال فى بغداد وسط شعبه هذا هو صدام ويقينه الذى لم يتزعزع فى نصر الله وصبره الذى أذهل كل العالم!!

صدام الذى دفن أولاده وقدمهم شهداء، لم يشجعهم على الفرار وترك البلاد ، أو التخلى عن المعركة يوم الزحف مثلما فعل الجبناء والخونة هنيئاً لمن يستحق التهنئة.. يموت السجن والسجان ولا تفنى شهامة الشجعان خلف القضبان.

هنيئاً لأبى الشهداء وعميد الشرفاء الذى خاض معركة بطولية استمرت ثلاثين ساعة استعملت فيها كل وسائل التكنولوجيا وغاز الأعصاب المخدر، إن صدم حسين كان يبصق فى وجه أمريكا فى كل يوم ألف مرة ولم ينحن لها ولم يستجب لمطالبها بناءًا على نصائح حكام العار ممن أوردوه موارد التهلكة ثم تركوه، تبدل عليه رؤساء أمريكا كما تتبدل أحذيته سوف يتحرر العراق قبل أن تتحرر أى دولة عربية أخرى من القهر الأمريكى الصهيونى وسيكون الله معه لأنه جعل العزة لله ولرسوله وللمؤمنين وليس لبوش وشارون وبلير.. الذين يريدون أن يوهمونا بأن كل

من يدافع عن نفسه وعن بلده مارق، وكل من يصون شرفه خائن، وكل من لم يسجد لأمريكا جاحد، فمتراس التصدي للغزاة سيتسع لكل الأحرار.

سنقاتل معاً وفي الخندق الواحد بمواجهة نفس الأعداء ومن يقف معهم خصوصاً المتحمسين لهذه الحرب خدام الإدارة الأمريكية الذين يقدمون يد العون إلى الأعداء من أجل تقسيم العراق والاستيلاء على نفطة وثرواته وجعله نقطة ارتكاز وانطلاق للتوغل في بقية الأقطار والأوطان العربية والإسلامية بالمنطقة لمصادرة ثرواتها ومواردها، وتجريدها من مكونات ومظاهر سيادتها وكرامتها الوطنية وهي نفس أهداف الحرب التي تتضمن في ضغائن أجندتها القضاء على المقاومة في فلسطين وإخضاع شعبنا الفلسطيني ليكون تحت قيادة بديلة مفرطة.. وبالمقاومة المشتعلة، ستفشل هذه الحرب العدوانية على العراق وفلسطين التيىساهم بها بعض العرب المستعربين التي انكشفت عوراتهم بهذه الحرب الظالمة.

إن دماء أبطال جنين والبصرة ورفح والفاو ودير البلح وأم قصر وبلاطة والناصرية والنجف ونابلس وكربلاء ويعقوبة وطولكرم والفالوجة وبغداد وتكريت أعادت للأمة العربية شرفها وكرامتها وعزتها وأمجادها. فتحية إكبار ومحبة لأشاوس وكبرياء الأشاوس المقاومة العراقية، تحية لأرواحكم وأنفسكم الطليقة، وأنت لستم وحدكم فكل الأحرار من العرب ومجاهدي فلسطين معكم.. لكم تحية الأقصى والإسلام والله أكبر والعزة للإسلام وللعرب، والخزي والعار لحلفاء أمريكا وإسرائيل والمتعاونين معهم".

أما إبراهيم الزعانين مسئول جبهة التحرير العربية: "إننا ندين اعتقال الرفيق صدام من قبل القوات الامريكية ونطالب العالم كله بإدانة الاعتقال لأن هذا عمل غير شرعى أن تتدخل دولة وتحتل دولة وتزيل رئيساً وتزيل حكومة وتنصب حكومة، فهذه إدانة إلى أمريكا فى كل سياستها فى المنطقة".

وأضاف الزعانين: إنه معروف أن المخطط الأمريكى فى العراق هو القضاءعلى النظام السياسى الذى يقوده الرفيق صدام حسين والذى يتعارض بشكل مباشر مع المخطط الأمريكى فى المنطقة وخاصة فيما يتعلق بقضية فلسطين".

وأوضح "أن الطريق الذى اختاره الرفيق صدام بصفته الأمين العام لحزب البعث العرب الاشتراكى هو موقف الحزب حقيقة وليس موقفه الشخصى".

الشارع المصرى

أما إذا ما انتقلنا إلى الشارع المصرى وجدنا أن خبر إلقاء القبض على الرئيس العراقى صدام حسين أصاب المصريين بحالة من الذهول والدهشة للمصير الذى آل إليه رئيس عربى كان على قمة دولة عربية عريقة، وأثارت المشاهد التى التقطت للرئيس العراقى وأذيعت عبر شاشات التليفزيون الحزن والأسى بسبب الحالة التى بدا عليها صدام حسين والأسلوب الذى اتبعته قوات الغزو فى عرض صوره أثناء توقيع

الكشف الطبي عليه وهو في حالة غير طبيعية، المواطن المصري شكك فيما عرضته قوات الاحتلال الأمريكي ولم يصدق ما حدث.

أحد ركاب مترو الأنفاق فتح قضية اعتقال الرجل أمامي لأحد الأشخاص ووجدته يقول - ما حدث... ما حدث لصدام أغضبني جداً جداً فأنا لم أكن سعيد بالمرة وغلبني الحزن مع بقية أفراد أسرتي بالكامل، وتمنيت أن يكون الذي مكان صدام هم خونة الأمة العربية، فصدام رجل قاوم وظل ثابتاً على موقفه من قضية الصراع العربي الصهيوني فدفع ثمن هذا الموقف، ومع الأسف لم نر أي حاكم عربي يقف مع الرجل، على الرغم من أنهم يعلمون أن الأمريكان غزاة محتلون يريدون القضاء على الأمة العربية بأكملها.

أحمد عبد اللطيف إسماعيل من منطقة جسر السويس وصاحب محل تجاري تحدث قائلاً: إن الذي بداخلي أكثر مما سأرويه لك فأنا لا أستطيع أن أصف لك شعوري، فأنا الذي امتهنت كرامتي كما امتهنت كرامة العرب والمسلمين أجمعين، فهي نكسة للعرب أجمعين، فلم يحدث من قبل في التاريخ الحديث والمعاصر أن اعتقل زعيم عربي بهذا الشكل المهين.

أما خالد محمد حامد من سكان منطقة المرج قال إن الحزن خيم على أهل المنطقة جميعاً، ولكن لا نستطيع عمل أي شئ لإنقاذ هذا الرجل مهماكان ظلمه، فكل الحكام العرب ظلمه، فلماذا صدام؟

ويضيف خالد قائلاً: إذا لم أحزن على زعيم عربي مثل صدام فعلى من أحزن... على الذين يقتلون إخواننا في فلسطين، على الذين دمروا العراق ونهبوا ثروتها، على بوش الحقير الذي اعترض على ظهور جثث الأمريكان

الذين قتلوا فى الحرب من العراق وأعتبر أن ذلك مخالف لاتفاقية جنيف ومبادئ حقوق الإنسان، وها هو اليوم يشهر برئيس دولة عربية عضو فى الجامعة العربية وفى الأمم المتحدة.

ويقول محمد صبرى بكلية الآداب بجامعة عين شمس أنا أشك فيما حدث فصدام له أكثر من شبيه وأتمنى أن يكون المقبوض عليه هو شبيه لصدام حتى لا يلحق بنا العار والنكبة. فما حدث نكسة لكل الأمة العربية والإسلامية.

بينما يرى محمود - عامل بمحل حلاقة بمنطقة عين شمس- أن تلك هى نهاية طبيعية لكل ظالم فالمولى عز وجل يسلط "أبدان على أبدان" ومن أنفسكم سلط عليكم، وأعود لأقول إن أمريكا هى التى ساعدت صدام وهى اليوم تحاكمه، وهذا ليس معناه أننى سعيد لاعتقال صدام ولكن هى الحقيقة التى لا أستطيع انكارها فأمريكا تريد أن تكن العراق "فلسطين ثانية" للانقضاض على ثروات العرب وافساح المجال لإقامة دولة إسرائيل الكبرى.

أحد الأشخاص رفض ذكر اسمه من قريتى (دمرو) بالمحلة الكبرى قال: إن المشاهد التى عرضوها لصدام حسين ضايقتنى كثيراً وأحزنت أسرتى الفقيرة أكثر، فخيرات كثيرة نعمنا بها من أرض العراق أثناء عملنا هناك.. كما أن صدام دافع عن كل عربى بكل قوة "ومنهم لله" الحكام العرب الذين تخلو عن العراق فى محنته.

"أم محمد" سيدة بائعة جرائد من منطقة منشية الصدر قالت والله حرام الذى يحدث لهذا الرجل فقد بكيت كثيراً عندما شاهدته فى التليفزيون وهو فى قبضة الأمريكان.

ما حدث مؤخراً ينذر بكارثة كبرى فلن تستقر الأوضاع فى العراق هذا ما أكده عمى "محمد محمد خلف" صاحب أحد المحال التجارية بالعاشر من رمضان حيث قال إن العراق كانت مستقرة فى عهد صدام فاستطاع أن يحكم مثل هذه البلاد المكونة من شيعة وسنة وتركمان وأكراد وغيرها سوف تتناحر بعد انتهاء هذا الرجل وتلك هى طبيعة أهل العراق وقلبى معهم وأتوقع أن يشتعل الصراع فى العراق إلى مالا نهاية.

يستطرد عمى محمد قائلاً ليس عجبا أن تسقط بغداد، فالهالة التى خلقها الإعلام حول شخص صدام حسين جعلته شخصية خيالية لها قدرات خارقة لكن الواقع أثبت عكسه فقد صدمنا من الذى حدث للرجل وكنا نتوقع أنه سيقاوم أكثر وأكثر ، حقاً أنه شخصية (محيرة) أثناء وجوده فى الحكم وبعد القبض عليه وبالطبع أنا حزين جداً على ما حدث، وكنت أتمنى أن يقاوم أكثر وأكثر وأتوقع أن تشتعل المقاومة فى الأيام القادمة، منها من يناضل من أجل صدام ومنها من يقاتل من أجل العراق وآخرون لهم مأرب أخرى سوف تفصح عنها الأيام القادمة.

نجاة محروس طالبة بقسم اللغة العربية كلية الآداب بجامعة عين شمس حزينة لعدة أسباب منها أن صدام إنسان عربى مسلم وقع أيدى قوى الشر، والمهين أنه يحاكم من أجل مقاومة محتل غاصب، الرجل ليس مجرم أو زعيم عصابة مافيا حتى يحدث له كل هذا واسأل الذين قبضوا

عليه بأى جريمة تريدون محاكمة صدام؟ ولماذا لا يقف العراقيون مع هذا الرجل فهو أبن بلدهم فى المقام الأول فهو فى النهاية رمز للشعب العراقى والعربى... وأسأل ... لما لا تشكل جامعة الدول العربية محاكمة لصدام وأن تتولى هى الأمر كله فى العراق.

عمى العبد"فلاح" من قريتى (دمرو) بالمحلة الكبرى قال: أنا أشد الذين حزنوا على صدام وكنت أحبه كثيراً .. فسألته لماذا؟ قال لا أعلم فأنا أحب كل من يقاوم المحتل". وفى أثناء الحديث تدخلت زوجته فى الكلام قائلة: "هو الذى عمل فى نفسه كده "يا ابنى"!

شخص رفض ذكر اسمه يقول: إن ما حدث لصدام حسين هىنهاية لما حدث لهذا البلد الشقيق – العراق – وما نتج عنه من احتلال من قبل الولايات المتحدة، ولم أكن سعيدا لهذه النهاية لكونه رئيسا "عربيا" وأصبح الدور الآن علىمصر والدول العربية إن لم تستجب لهذه القوة التى أصبحت تسيطر على منطقة هامة فى الوطن العربى ولا أتوقع خروج أمريكا من العراق بعد اعتقال الرئيس صدام حسين ولكن سوف توسع قواعدها داخل منطقة الخليج العربى للحفاظ على مصالحها الخاصة وأن المقاومة ستظل قائمة وأنها ليست مرتبطة بصدام أو بالقبض عليه بل سوف تزداد فى الفترة المقبلة لأنه احتلال فالمقاومة دفاعاً عن البلد والشعب وليس عن فرد أو سلطة.

داخل سوبر ماركت فى جسر السويس كان التليفزيون يذيع خبر القبض على صدام حسين ولم تصدق إحدى السيدات – وهى داخل السوبر ماركت تشترى احتياجاتها – بنبأ القبض على صدام حسين فقذفت بما فى

يديها وظلت تلطم خدودها فى ذهول لفت انتباه من حولها داخل وخـــارج السوبر ماركت.

ويرى أسامة أحمد- موظف - أن صدام حسين لم يكن يستحق ما حـــدث له خاصة أنه أول رئيس عربى يطلق صاروخاً فى قلب "تل أبيب" وهو الأمر الذى لم يحدث من قبل.

مصريون كثيرون عاشوا بالعراق فى فترة السبعينات والثمانينيات .. خـــلال هذه الفترة كان السفر لهذا البلـــد العـــربى الشـــقيق حلمـــاً يـــراود آلاف المصريين فهذه الفترة كانت تمثل العصر الذهبى للعمالة المصرية قـــرى بأكملها بل وأسر عديدة تعيش الآن على خيرات العراق ملايين المصـــريين عملوا لفترة طويلة بالعراق وعادوا لمصر وحققوا أحلامهم سواء بالزواج أو بناء المنازل أو غير ذلك.

هؤلاء جميعاً بكوا كثيراً وسيطرت عليهم حالة من الحزن والأسى عـــندما شاهدوا لقطات اعتقال الرئيس العراقى صدام حســـين عـــادوا بالـــذاكرة لحياتهم الجميلة التى عاشوا خلالها فى العراق قبل العدوان الأمريكى عليها لم يشعر هؤلاء بالغربة فالمعاملة جيدة ولا يلقون مثلها فى أى بلـــد آخـــر.. هؤلاء تذكروا موقف الرئيس العـــراق صـــدام حـــين رفـــض أى مســـاس بالمصريين بل واعتبر الإساءة لأى مصرى على أرض العراق بمثابة إســـاءة شخصية له .. شكوى أى مصرى كانت تنال الاهتمام من كافة المسئولين بالعراق بل إن أى مصرى يتعرض للظلم كان يمكنـــه مقابلـــة أى مســـئول عراقى لحسم مشكلته وفى جولات الرئيس صدام كان دائمـــاً مـــا يصـــافح

المصريين ويطمئن على أحوالهم .. العراق كانت خلال هذه الحقبة عاملاً أساسياً في التخفيف من حدة البطالة في مصر.

المصريون الآن يعيشون على ذكريات العراق خاصة بعد أن أغلقت بعض دول الخليج أبوابها أمام المصريين بل ولا تحسن معاملتهم.

أما أرملة الشهيد يحيى المشد تتحدث فتقول أن صدام أنصفني ووقف إلى جانبي فلقد كان خبر إلقاء القبض على الرئيس العراقي صدام حسين كان له وقع الصاعقة على السيدة زنوبة على الخشخاني أرملة عالم الذرة المصري الدكتور يحيى المشد الذي اغتالته العصابات الصهيونية في باريس.

وعن رد فعلها بعد عرض مشاهد للرئيس العراقي لدى القبض عليه، فقالت في صوت حزين: والله حرام، هذا الرجل له مواقف إنسانية عظيمة، وبغض النظر عن أي شئ آخر يمكن أن يكون قد قام به، إلا أنني لم أر منه إلا كل الخير. فهو الوحيد الذي مد يده لي بالمساعدة حينما تخلى عني الجميع، ولولاه ما عشت وأولادي حياة كريمة بعد اغتيال زوجي على أيدي الموساد.. وبدأت تروي في عام ١٩٧٥ سافر الدكتور يحيى المشد للعراق لحضور مؤتمر العلوم النووية الأول، وهناك عرضت عليه الحكومة العراقية التعاقد معه للمساعدة في البرنامج النووي العراقي، كانت العراق قد بدأت تجني ثمار ارتفاع أسعار البترول ورغم الاحتياطي الضخم الموجود بأراضيها إلا أنها كانت تسعى لتوليد الكهرباء من الطاقة النووية كمصدر متجدد للطاقة، كان الدكتور المشد وقتها رئيساً لقسم الهندسة النووية بجامعة الإسكندرية التي وافقت على إعارته للعراق

وبالتحديد لكلية (التكنولوجية) ببغداد حيث كان يقضى معظم وقتـه فى البحوث والتدريب والأشراف على مشروع العراق النووى وكانت الجهـات الحكومية العراقية تعرض أوراق وتقارير المشروع على المشد للاستفادة برأيه فى اتخاذ قراراتها وكانت تترك له مهمة الاتصال بالجانب الفرنسى والاتفاق باسم العراق على كل الخطوات الفنية فى المشروع الاستراتيجى الكبير.

وتضيف السيدة زنوبة إن عمل زوجى كان تابعاً لمؤسسة الطاقة الذرية ولم تكن له علاقة بالسياسة ولا حزب البعث، وكنا نعيش فى سلام بمدينة الضباط (زيونة) مع أولادنا (لمياء). كانت فى اعدادى هندسة كمبيوتر عام ١٩٨٠، والتوأم (أيمن وإيمان) وكانا فى الفرقة الثانية بالمرحلة الثانوية وقتها حينما جاء الخبر المشئوم باغتيال زوجى.

وسكتت السيدة زنوبة وخنقت الدموع كلماتها ثم قالت: أعدتمونى ٢٣ سنة للوراء، تلقيت الخبر فى ١٦ يونيو ١٩٨٠ قالوا لقد تم اغتياله فى فندق المريديان بباريس ما بين (١٢ – ١٥يونيو) ولم يتم تحديد يوم الاغتيال بالضبط وفوجئت بالحكومة العراقية تعطينى مبالغ طائلةوطلبوا منى دفن الدكتور المشد فى العراق وإقامة تمثال له، ولكننى رفضت وصممت علىدفنه فى مصر، أعطونى نقوداً كثيرة للدفن ومراسم الجنازة، وبعدها سافرت مرة أخرى إلى بغدد مع ابنتى الكبرى لمياء، وهناك خصصوا لى سيارة مكيفة لتنقلاتى داخل العراق، وعرضوا على الإقامة مؤقتاً فى فندق ٥ نجوم لكننى فضلت الإقامة فى منزلى (بزيونة)، وكانت المفاجأة الكبرى حين جاءنى أحد أفراد السلطة العراقية ليعرض على مقابلة الرئيس

العراقى صدام حسين شخصياً لم أصدق نفسى وأعطانى جارنا وكان ضابط مخابرات رقم تليفون السكرتير الشخصى لصدام، قمت بالاتصال هاتفياً به، وفوجئت به يعطى السماعة للرئيس نفسه، لم أعرف ماذا أقول وفوجئت بصوته يأتينى عبر الهاتف فى ود شديد: (أهلاً أختى حبيبتى، مرحباً بك فى بلدك... فقاطعته بسرعة عايزة أقابلك فرد على الفور: بكرة اتفضلين).. وأغلق السماعة وأنا مازلت مذهولة، أبلغت جارنا ضابط المخابرات وقام بتوصيلى بسيارته إلى مكان وقفت فيه إحدى سيارات الحرس الجمهورى... وذلك فى ميدان (سعدون) ركبت سيارة الحرس الجمهورى سوداء اللون ووقفت بى أمام مبنى ضخم دخلت مكتب استقبال وكانت برفقتى ابنتى لمياء، شعرت برهبة شديدة وهناك وجدت سكرتيره الخاص الذى رحب بى، ووجدت أشخاصاً كثيرين ينتظرون دورهم، وحينما جاء دورى دخلت مع ابنتى لغرفة أخرى بها (٣ صالونات) ومكتب فخم وفوجئت (بستارة) تنفتح ظهر وراءها الرئيس صدام الذى اقترب منى فى ابتسامة ودودة وقال لى: أهلا بعائلتى وأهلى وناسى.ووضع يده اليمنى على كتفى ويده اليسرى على كتف ابنتى وقال فى حنان بالغ: مهما طلبتم منى لن أعوضكم ما راح منكم ولا كنوز الدنيا تعوض الدكتور المشد، تحبى نعلم الأولاد فى فرنسا أو انجلترا، تريدى أقيم لك قصر بجوارى أو فى أى مكان..؟) قلت له فى ذهول: (أنا مش طالبة غير أنى أعيش حياة كريمة مع أولادى).. هز رأسه بالموافقة فى ود بالغ وانصرفت مع ابنتى غير مصدقين هذه الحفاوة الرئاسية، وكان الرئيس يوفد من يطمئن علينا يومياً فى منزلنا بحى (زيونة) وأرسل مندوبين من السلطة العراقية يعرضون علىّ بناء: فيلا فى أى مكان أريد. وحددوا لى مبلغاً كبيراً من المال

قررت به شراء قطعة أرض بمنطقة (السيوف)، حـــدد لي صـــدام معاشـــاً شهريا مدى الحياة يسمى (مقطوع) قدرة (٣٠٠ دينار) كان يصرف بالدولار من بنك الرافدين بمصر ولكن للأسف انقطع المعاش بعد حرب الخلـــيج بسبب الحصار الظالم على العراق، وحاولت مع كل المسئولين بلا فائـدة طوال ١٢ عاماً حتى مطلع ٢٠٠١ إلى أن جاءتني بمنزلي (قناة الجزيرة) قلـــت لهم أريد أن يصل صوتي للرئيس العراقي صدام حسين، ووافقـــت علـــى التسجيل معهم وفوجئت بعد البث بالسفير العراقي يتصـــل بي ويقـــول: (أخوكي أبو عدي طلب منا أن تحضري للسفارة وهناك قابلنـــا منـــدوب من السلطة العراقية بمنتهى الذوق والكرم وقال لي المندوب (أبـــو عـــدى قال إن هذه السيدة من عائلة كريمة لأنها تركتنا ١٢ســـنة دون أن تطالبنـــا بالمعاش وتحملت كل هذه السنوات وأبسط شئ يمكن عمله أعـــادة ولـــو ربع المعاش وهذا أقصى ما يمكن عمله في هذه الظروف) وبالفعـــل قـــام بصرف ٤ مرات حتىوقفة عيد الأضحى الماضى وانقطع المعاش.

الفصل الرابع

لماذا لم ينتحر صدام؟

ما تعليل علماء النفس لذلك.

د. يحيى الرخاوى.

د. عادل صادق.

د. محمد عزت أمين.

د. إسماعيل منتصر

صلاح الدين صبحى

ومن الأسئلة التي ترددت كذلك لماذا لم ينتحر صدام؟

وفى ذلك يرى علماء النفس أن صدام حسين لم يطلق النار على نفسه قبل سقوطه لأنه فى رأيهم أصبح إنساناً لا يحمل قضية ولم يعش من أجل هدف محدد. ولم يضع نهايته بيده لأنه لا يقر بأنه ظلم أحدا بينمـا أشار الدكتور يحيى الرخاوى(*) إلى أنه لاتوجد قاعدة ثابتة تقول "على المستبد أن ينتحر" وهو يرى أن الخوف من المحاكمة أو عقاب الجماهير ليس كافياً لقرار الانتحار ، والأرجح فى رأيه أن صدام حسين فاقد البصيرة فى الواقع منذ زمن طويل كما فقد بصيرته أيام حرب الكويت حيث أعتبر نفسه إلهاً وليس فقط مدعوماً بالله، وبالتالي لم يضع الهزيمة فى الاعتبار.

وهذه العينات من البشر يستوى عندها الانتحار أو الاستمرار فى الحياة. إذا حسبناها من منظور تاريخى، فهم بشر يحملون مقومات هدم أنفسهم وهم يتصورون أنهم قادرون على هدم الناس. إن صدام حسين - فى رأيى - قاتل لنفسه وقاتل للناس منذ أن فقد بصيرته.

أما الدكتور إسماعيل منتصر(*) فيرى أن نهاية الرئيس العراقى السابق لم تكن متوقعة فكنت أتوقع أن يكون سلوكه أكثر وعياً وأن يدرك الدرس الأول عندما قام بغزو الكويت. ويصل إلى نوع من الاستنتاج بأن النهاية لن يصنعها بيده كما حدث عند غزوه للكويت.

* استشارى الطب النفسى بطب القصر العينى
* استاذ الأمراض العصبية بجامعة الأزهر.

وعندما قام الرئيس العراقي السابق بتسليم نفسه دون إطلاق رصاصة واحدة من مسدسه الذي يحمله لأنه ليست لديه عقيدة لكي يحارب من أجلها أو هدف للحرب.

ويوضح قائلاً مهما تعددت الأحكام حول شخصية صدام حسين فإنه بالقطع لديه نوع من المرض النفسي الأولي أو الثانوي نتيجة مرض عضوي في المخ.

أما الدكتور[*] محمد عزت أمين فيؤكد أن جنون العظمة نوع من أنواع الأمراض النفسية. ومن الناحية "الإكلينيكة" فإن الطب يضعه في خانة جنون العظمة، وهو بشكل عام من الأمراض النفسية. ويبدأ ظهور هذه الأعراض في حالات اضطرابات الشخصية، وفي هذه الحالات نلاحظ على الشخصية ميولا إلى السيطرة وفرض الرأي والميول الاستعراضية وحب الظهور بشكل أكبر من الحقيقة.

وغالباً ما تعتري هذه الشخصية الشكوك في تصرفات وميول الآخرين وولائهم لهذه الشخصية ويشير الدكتور محمد عزت أمين إلى أن هذا النوع من الاضطرابات النفسية الكامنة في هذه الشخصية يميل إلىالتصرفات الحادة والعنيفة التي قد لا تتناسب مع الموقف في كثير من الأحيان.

ويعتقد أن هؤلاء الأشخاص الذين يعانون هذا النوع من الاضطرابات النفسية يكون رد فعلهم في بعض المواقف غير متوقع.

* مدرس الطب النفسي بكلية طب القصر العيني.

ويشير مدرس الطب النفسى إلى أن هذه الشخصية التى يطلق عليها الطب النفسى "الشخصية البارانوية" يغلب عليها سوء تفسير الأحداث والمواقف المختلفة، وذلك لتزايد نسبة الشكوك والظنون فى مكونات هذه الشخصية وسماتها.

الملاحظ أنه قبل أسبوع واحد فقط من اعتقال الرئيس العراقى صدام حسين كان مجلس الحكم الانتقالى قد انتهى بمساعدة كاملة من سلطات الاحتلال من إنشاء المحكمة الجنائية العراقية وهى محكمة خاصة للنظر فى جرائم الحرب فى العراق، سرعة إنهاء المحكمة على ما يبدو كانت استشعارا أو تمهيدا لإعلان نبأ اعتقال صدام حسين.

تنص قواعد محكمة جرائم الحرب التى وضعت بمعرفة لجنة خاصة مشتركة بين مجلس الحكم الانتقالى وخبراء أمريكيين من الخارجية الأمريكية ومن سلطات الاحتلال الأمريكى للعراق وأيضا من مستشارين وخبراء قانون أمريكيين- وتنص القواعد- على أن يوافق أعضاء مجلس الحكم الانتقالى البالغ عددهم ٢٥ عضواً على تشكيل هيئة المحكمة التى ستتكون من خمسة قضاة والتى ستختارها لجنة قضائية خاصة وهى أيضا التى ستختار أسماء المدعى العام، وهيئة الدفاع والمحققين أما الدرجة الأعلى من هذه المحكمة فهى محكمة الاستئناف وتضم تسعة قضاة وهذا وقد أكد مجلس الحكم العراقى أن قوانين كل هذه المحكة جاءت مطابقة للقوانين والأعراف الدولية كما أنها تسمح باستدعاء خبراء قانونيين من الخارج للاستعانة بهم فى إجراءات سير المحاكمة.

من المتوقع أن يخضع صدام حسين للمحاكمة مع أركان نظامه الذين من المتوقع أن يصل عددهم إلى مائتى شخص ضمتهم أو لم تضمهم كوتشينة المطلوبين. من ضمن قائمة الجرائم التى سيحاكم عليها صدام ورجاله، المسئولون عن قتل حوالى مائة ألف مواطن كردى فى شمال العراق عام ١٩٨٨ وذلك بعد استخدام الأسلحة الكيماوية لقمع تمرد الاكراد فى حلبجة وسيحاكم أيضا عن حالات تعذيب عشرات الآلاف واختفاء الآلاف غيرهم وتشير بعض التقديرات إلى أن ضحايا صدم حسين بلغوا إجمالياً حوالى ٣٠٠ألف شخص اختفوا وقتلوا على أيدى الأمن العراقى هذا الرقم لا يشمل الأكراد فقط بل أيضا الشيعة الذين سجنوا وقتلوا فى تمرد الشيعة بين عامي ١٩٨٠ و ١٩٩١ أيضا عن حربه مع إيران واحتلاله للكويت.

وتتردد أنباء قوية عن أن الحكومة العراقية الشرعية التى ستتولى الحكم فى يوليو القادم ستقوم بإعادة إقرار عقوبة الإعدام التى سبق وألغتها قوات الاحتلال الأمريكى فى يونيو الماضى ولعل هذا الخبر يشير بوضوح إلى المصير الذى ينتظر صدام حسن عند مثوله أمام هذه المحكمة من هنا كان التساؤل المهم هو لماذا لم يقدم صدام حسين على الانتحار عند اعتقاله خاصة وأنه يعرف المصير الذى ينتظره؟!

هناك عدة تفسيرات فى هذا الشأن، فالقوات التى ألقت القبض عليه أكدت أن صدام عند القبض عليه كان مشوش الذهن بدرجة كبيرة لا يدرى ما حوله، مذهولاً إلى حد كبير ولعل ذلك ما يعزز شائعات أن صدام حسين تم تخديره أو تسريب نوع من الغازات التى تغيب التفكير من خلال فتحة التهوية التي كانت فى القبو؟! وكان رجال مجلس الحكم الانتقالى قد

أكدوا أنه تعرف عليهم بصعوبة عند لقائه بعد اعتقاله.! معلومات أخرى تشير إلى أن هناك القبو الذى كان صدام مختبئاً فيه كان ضيقاً إلى درجة لا تسمح لمن بداخله استخدام الأسلحة التى يحملها. معلومات أخيرة لكنها قديمة أشارت إلى أن التركيبة النفسية لصدام حسين لا تدفعه أبدا إلى الانتحار فى ظل أعقد وأسوأ الظروف، أشارت هذه المعلومات أيضا إلى أن صدام حسين كان قد أعطى حراسه الشخصيين أوامر بقتله فى حال وصول قوات الإحتلال إليه.

ما حدث مع صدام والانكسار الذى بدأ عليه لا يعتبره الدكتور **هشام بحرى** أستاذ الطب النفسى غريباً، ويقول صدام ليس طاغية وإنما مجرم جبان طوال حياته لا يواجه إلا إذا كانت المواجهة مع من هو أضعف منه. هذا المجرم الجبان طالما يمتلك السلطة والنفوذ يظهر بجبروت وبمجرد أن ينخلع عنه كل ذلك يتذلل(*).

وهو لا يستطيع الانتحار لأنه جبان مثل المجرم الهجام الذى يمسك المطواة وبمجرد القبض عليه يبكى.. لكنه لا يستطيع المقاومة أو اتخاذ قرار شجاع .. يضيف بحرى أنه فى الطب النفسى يوجد مرض اسمه قلق الضغوط . يصاب به الإنسان نتيجة تزايد الضغوط عليه وعدم معرفته مصيره. مع استمرار هذا القلق يصاب الإنسان بالغياب الفكرى ويتحول إلى إنسان مشوش. وهذا ما حدث مع صدام، طيلة ثمانية شهور لا يعرف مصيره. فالصورة التى ظهر بها، وعيناه الزائغتان ولعبه فى لحيته لم يكن لأنه تحت تأثير مخدر وإنما هو شارد ومشوش نتيجة الهزيمة ولذلك

---

* أرى أن ذلك تحليل مبالغ فيه، وأكاد أشك فى صحته وهو يأخذ شكل الهجوم أكثر من شكل التحليل النفسى.

نلاحظ أن بمجرد أن تم حلق لحيته عاد البريق إلى عينيه لأن الشخصية التى يصيبها قلق الضغوط تلجأ إلى مبدأ وقوع البلاء ولا انتظاره، فصدام أشبه بالجنود فى الحرب العالمية الأولى الذين كانوا يظلون أياماً طويلة فى مواجهة بعضهم البعض أمام السراديب. وفجأة يخرج جندى مسرعاً ببندقيته نحو الخصم ليحاول قتله فيموت هو، لأنه لم يكن طبيعياً وإنما فقد السيطرة على أعصابه بسبب قلق الضغوط.

الدكتور **عادل صادق**(*) يرى أن القبو الذى عاش فيه صدام ثمانية أشهر لعب دوراً مهماً فىالصورة التى ظهر بها لأن هذه الحياة تسبب نوعاً من الحرمان الحسى لأنه يبعد عن كل المؤثرات الخارجية، يعيش فى الظلام، ولا يرى إلا أشخاصا محددين وينقطع عن العالم كل هذا يؤدى إلى الاضمحلال وتآكل الشخصية أو الحرمان الحسى الذى يسبب بالتدريج نوعاً من الاكتئاب والانفصال عن الواقع.

فالصورة التى ظهر بها صدام لا تعكس غضباً ولا قلقاً ولا خوفاً وعدواناً ولا استسلاماً بل هى صورة إنسان منفصم عن الواقع بسبب تعرضه لضغط شديد، وتحول الانفصال الذى يجعل نظراته زائغة ومطيعاً للأوامر(**).

ومع كل هذا فصدام لا ينتحر لأنه شخصية سيكوباتية يحب نفسه ويهرب من الموت ويتلون ويتشكل، الكرامة بالنسبة له لا تهم فهو شخصية

---

* استشارى الطب النفسى.

** كلام يكاد يكون مضاد للواقع، فشهود عيان أكدوا أن صدام شوهد فى الأعظمية والرمادى وهو يقود تاكسى مرة، وولى مرة أخرى، ورجل ذو لحية طويلة مرة أخرى، وبين صفوف المقاومة مرة أخرى.

إجرامية ولا يوجد مجرم يقتل نفسه، صدام ليس هتلر الشخصية الوطنية الاضطهادية، وليس عبد الناصر القومي الذى يشعر بكرامته.

يتفق د. **صلاح الدين صبحي** استشاري الطب النفسي مع تفسير شخصية صدام بالسيكوباتي الذى لا يتعلم من أخطائه ويكررها مرات أخرى وبالتالي ليس لديه الشجاعة التي تجعله ينتحر في مثل هذا الموقف لأن أهم ما يعنيه هو نفسه وليس الآخرين وهو ليس شجاعاً إنما يهوى مظاهر السلطة وما بدا عليه أثناء اعتقاله ليس ندماً وإنما هول الصدمة.

الفصل الخامس

- ما مصير المقاومة العراقية؟
- ما مصير صدام حسين؟

يرى المحللون السياسيون أن اصطياد صدام لن ينهى المقاومة والمواجهة ستظل مستمرة حتى زوال الاحتلال.

فبصرف النظر عن العملية الاستخباراتية الناتجة من تعاون أمريكى إسرائيلى كامل وبعد أن قام الموساد بفتح مسرح العمليات للقوات الأمريكية لتنفيذ العملية التى لم تعلن تفاصيلها العسكرية بعد. فإن حقائق عسكرية أكدت نفسها... حيث شارك فى العملية نوعية متقدمة من قيادة النخبة وعناصرها من الموساد وتحديدا من العاملة فى محطة عمان وبيروت بهدف التعجيل بالمهمة والواضح أن رأس صدام حسين قد كانت المكافأة التى حصل عليها زعماء القبائل والعشائر التى اخترقتها السى أيه أى والموساد معا بعد أن ثبت نجاح المخابرات المركزية فى تقديم رشوة بلغت عشرين مليون دولار لـ٧ زعماء قبائل كبرى فى تكريت والعملية بأكملها جاءت فى توقيتها ربما لأن الولايات المتحدة فى حاجة إلى نصر ولو وهمى بعد أن تتالت سقوط جنودها وضباطها الكبار، والمؤكد أن سقوط صدام لن يلغى المقاومة أو يسقط خيار الحرب حتى يزول الاحتلال بدليل أنه فى لحظة سقوط صدام حسين سقطت فى أربعة مدن عراقية ١٧ مصاباً وقتيلاً أمريكيا.. لم يتغير شئ والعراق لم يكن صدام حسين أو عزة إبراهيم.

الغريب أنه بعد ساعات من سقوط صدام أكدت مصادر عسكرية واستراتيجية فى معهد بروكنجز أحد أكبر معاهد استراتيجية فى الولايات المتحدة أن صدام حسين قدم أكبر خدمة للأمة الأمريكية فى شهادة لها مغزاها ولها قيمتها على كل المستويات إذا أن الولايات المتحدة لم تغامر

بمستقبلها الكامل في العراق ويرى الأمريكيون أن عملية اسقاط صدام سوف تلقىبتبعاتها على الانتخابات الرئاسية الأمريكية في نوفمبر ٢٠٠٤ وبمستقبل بوش وإدارته ورجال حكمه وأما على الجانب الآخر فإن عدم سقوط ١٢ قياديا في النظام العراقي وعلى رأسهم عزة إبراهيم لن يسقط خيار المقاومة أو القتال في مواجهة.

ويقينا فإن ما تردد عن مسعى بوش للوصول إلى هدف ثمين وهو رأس صدام بديل عن استمرار المقاومة واندلاعها وسقوط الأمريكيين كان الهدف من عملية صيد صدام حسين لتبقى التساؤلات مطروحة على مصرعيها ماذا لو كشف صدام حسين المستور وفتح النار على الجميع؟ وهل سيحاكم صدام حسين فعليا أم أنه سيواجه أمام الخيار صفر أى سينتحر سياساً أو طبيعياً أو يقوده للانتحار لتنتهى إسطورة صدام حسين تماماً.

على جانب آخر وبصرف النظر عما يتردد من أن العراق سوف يشهد هدوءا واستقراراً أو فإنه سيتم تسليم السلطة في يونيو المقبل وتشير المصادر إلى سيناريوهات أكثر تطرفا فالأمريكيون باقون حتى إشعار آخر بدليل حالة النشوة التى انتابت الجنرالات الأمريكيين الذين أكدوا علانية نحن هنا باقون ولن نرحل.

تساؤلات عدة تطرح ذاتها على كل المستويات لكن الأهم في تَصورنا ماذا عن المقاومة العراقية المستقبلية وماذا عن البدائل المتاحة أمام الإدارة الأمريكية وهل سيتكرر نموذج محاكمة دكتاتور العرب مع العراق؟ ماذا لو انفتحت شهية الأمريكان إلى مواقع ومساحات أخرى وماذا عن

سائر عناصر القوى العراقية الأخرى الشيعية والإكراد وغيرهم؟ أكاد أجزم أن البداية رأس صدام حسين والبقية تانى والخاطرة واردة على كل المستويات وعلى كافة أنظمتنا العربية... وأتصور من حجرتى وأنا أكتب هذه السطور أن المسألة تجاوزت بكثير القاء القبض على رئيس مخلوع بدرجة رئيس سابق!!.

ويرى كثيرون فى عالمنا العربى الذى نكب بالأمريكيين وأن منهم أن الولايات المتحدة التى تحاول الخروج من عثرتها المتمثل فى مستنقع العراق والذى لم تخرج منه إلا بمأساة حقيقية سيفاجئ بها الشعب الأمريكى المغيب والذى تمارس إدارته أكبر عملية نصب واحتيال وخداع سياسى، وإن كافة محاولات رسم شرق أوسط جديد لن تنجح ولن يقود إسرائيل لعرب أبداً فى قاطرة الأحلام الشرق أوسطية.

عملية صيد رأس صدام حسين فى حاجة لتأكيد ومراجعة حقيقية داخل الأوساط الأمريكية التى باتت تتساءل وعن حق هل تخفت المقاومة العراقية وهل يستكين شعباً فى بسالة شعب العراق الذى لم يرتبط بصدام حسين أو عزة إبراهيم أو بالجن الأسود؟

أنه شعب يرتبط بحضارته وثقافته وما أظن أن الجندى العراقى الباسل سيستكين أو سيضع المواطن العراقى سلاحه فى مقابل وعود أمريكية وهمية. ويا مستر بوش لا يخدعك نصر وهمى ولو كان رأس صدام فالمقاومة العراقية فى يقينى لن تنتهى ولن تختفى ولن تضع أوزارها.

هذا ما أكدته صحيفة الواشنطن بوست الأمريكية من أن إلقاء القبض على الرئيس العراقي صدام حسين لن يقضي على المقاومة للاحتلال الأمريكي للعراق ولكنه يمثل نقطة تحول في المهمة الأمريكية مع ظهور عوامل جديدة ساعد على بروزها القبض على صدام. وقالت الصحيفة في تعليق لها أنه على عكس الكثيرين من محترفي القتل الجماعي الذين سبقوه - بدءا بهتلر وانتهاء ببول بوت - من الأرجح أن يظل صدام على قيد الحياة ليمثل للمحاكمة.. فهو- كما قال الرئيس بوش سيواجه العدالة التي حرم الملايين منها... ومن ثم يمكن للعراقيين أن يثنوا على مهارة الجنود الأمريكيين ومحللي الاستخبارات الذين نجحوا في تحديد مكانه وإلقاء القبض عليه دون اطلاق طلقة واحدة.. كما أصبح بمقدورهم أن يفكروا بثقة أكبر بشأن العراق بحيث يحل محل عراق الحرمان والفقر والوحشية عراق آخر مسامح ومتقدم ويتمتع بالرخاء الذي يريده معظم الناس وإشارت الصحيفة إلى أن الهجمات التي تواجهها القوات الأمريكية في مسقط رأس صدام وما حوله لن تتوقف باعتقاله - كما أظهرت عملية تفجير سيارة ملغومة نفذة على وجه السرعة - فكثيرون من الذين يقاتلون السلطة المؤقتة التي يرعاها الأمريكيون يفعلون ذلك لأسباب تتجاوز بكثير الولاء لصدام حسين... بل يكون من الممكن أن يشعر بعض من يعارضون الاحتلال الأمريكي. وتوقعت الصحيفة أن يكون كثير من العراقيين على استعداد للتفكير بشأن موقعهم في النظام الجديد وينضموا لمهمة إعادة البناء، واعتبرت الصحيفة هذا الأمر هو أكبر مكسب يتحقق من أسر صدام وهو مكسب يعود بالفائدة على السلطات الأمريكية ومجلس الحكم العراقي.

وقالت أن ثمة مكسباً آخر يمكن أن يحصل عليه جزء من الشعب العراقي ظل حتى الآن مستبعداً من عملية التحول السياسي وهم بوجه خاص سكان "المثلث السنى" الواقع شمال وغرب بغداد.. ولاحظت الواشنطن بوست أن الحاكم المدنى الأعلى للاحتلال الأمريكي بول بريمر لعب على هذا الوتر عندما أهاب بمؤيدى النظام السابق أن يتقدموا إلى الأمام تدفعهم روح المصالحة والأمل وأن يضعوا سلاحهم جانبا وينضموا إلى مواطنيهم فى مهمة بناء عراق جديد... وذكرت الصحيفة أن اعتقال صدام دفع بسرعة المرشحين الديمقراطيين لانتخابات الرئاسة فى الولايات المتحدة إلى المطالبة بـ"تدويل" الاحتلال بحشد قوات أجنبية وإداريين من الأمم المتحدة.

يتساءل البعض عن مصير صدام وهل تتم محاكمته كأسير حرب؟

أساتذة القانون يروون أن الحرب غير شرعية .. ومحاكمة صدام شأن عراقى مجرم أم أسير حرب

فلقد أثارت تصريحات وزير الدفاع الأمريكي دونالد رامسفيلد بشأن معاملة قوات التحالف لصدام حسين كأسير حرب وفقا لاتفاقية جنيف التساؤلات حول موقف الرئيس العراقى المخلوع من الناحية القانونية تبعاً لقواعد القانون الدولي.. هل هو مجرم حرب أم أسير حرب؟ وما هو التكييف القانونى لمحاكمته؟

الغريب أن تصدر تلك التصريحات من الولايات المتحدة التى تدعى احترامها لاتفاقية جنيف بينما أعطت ظهرها للقانون الدولى وللرأى العام العالمى واجتاحت قواتها دولة مستقلة ذات سيادة بلا سند قانونى.

أساتذة القانون الدولى يجيبون على الأسئلة التى خلفها تصريح رامسفيلد.

فى البداية يؤكد الدكتور[1] نبيل حلمى- أن الرئيس العراقى المخلوع صدام حسين لا يمكن أن يعتبر أسير حرب من وجهة نظر القانون الدولى حيث تم أعتقاله داخل دولته التى تعرضت لعدوان صارخ من جانب قوات التحالف.

مشيراً إلى أن مقاومة الاحتلال ليست جريمة يعاقب عليها القانون الدولى بل أن العدوان واحتلال أراضى دولة مستقلة ذات سيادة هى الجريمة القانونية بعينها.

ويكمل د. حلمى أنه لابد من توجيه تهمة محددة للرئيس السابق ومن ثم يترتب عليها طريقة محاكمته فهو فى الحرب الأنجلو أمريكية ليس أسير حرب ولا مجرم حرب أما إذا تمت محاكمته كمجرم حرب فذلك سيكون على جرائمه فى الحرب ضد إيران ثم الكويت فى حين أنه قد يعاقب على ارتكابه جرائم ضد الانسانية كالإبادة، وبذلك فإن نوع الجريمة هى التى تحدد الشكل الذى تقوم على أساسه المحاكمة.

ويختتم د. حلمى حيدثه باعتقاده أن محاكمة صدام حسين من الأرجح أن تتم خارج العراق لإضفاء البعد الدولى على جرائمه.

---

[1] أستاذ القانون الدولى بجامعة الزقازيق.

ويؤكد الدكتور[٢] رمضان بطيخ أن صدام حسين ليس أسير حرب لأنه لم يقبض عليه وهو في حالة حرب لأن أمريكا سبق أن أعلنت على لسان رئيسها بوش انتهاء الحرب على العراق كما أنه ليس مجرم حرب بل هو رئيس حربي خان شعبه ووطنه وارتكب جرائم بحق العراقيين وتم القبض عليه في أرض العراق وبالتالي يجب أن يحاكم أمام محكمة عراقية مهما كان نوع القضاء أو المحاكمة.

ويضيف أن جرائم صدام عديدة سواء تلك التي ارتكبها في حق شّعبه أو جيرانه أو في حق الدين نفسه إلا أن القبض عليه بتلك الصورة فيها مهانة للعرب وكان من المفروض أن يحاكمه شعبه وأن يقبضوا عليه وليس بتلك الصورة المهينة.

ويضيف أستاذ القانون الدولي أن صدام سيخضع لمحكمة عسكرية يتم تشكيلها من قبل قضاة عراقيين طبقا للقانون العراقي ولا نستطيع أن نحكم ما إذا كان سيحظى بمحاكة صورية أم عادلة لكن جرت العادة فيمعظم الاحيان أنه عند سقوط نظام حكم بالقوة فغالباً ما تكون المحاكمات صورية ولم نسمع على مدار التاريخ أن محكمة عسكرية أنصفت من كانوا بالحكم بعد الانقلاب وخاصة أن جرائم صدام لا تحتاج إلى محكمة صورية أو غير صورية.

ويضيف أنه للأسف أن الرموز التيستحاكمها المحكمة العراقية هي التي طلبتها واشنطن وليس الشعب العراقي وتلك هي المهانة التيلا يتحملها أحد لأن أمريكا ستحاكم من ترغب وتريد عقابه.

---

[٢] أستاذ القانون الدولي بجامعة عين شمس.

ويؤكد الدكتور إبراهيم العنانى أن صدام حسين يعد فى عرف القانون الدولي كل من يتم اعتقاله لقواعد القانون الدولي أسير حرب حيث أن وينطبق عليهم اتفاقية جنيف لأسرى الحرب وهذا هو الرأى القانونى أما الرأى الفعلى الحقيقى فإن الولايات المتحدة الأمريكية لا تحترم القانون.

ويضيف بالرغم من أن تلك الحرب غير شرعية إلا أن ذلك لا يعنى عدم تطبيق قواعد اتفاقية جنيف وينبغى أن تتم محاكمة صدام وفق محاكم القانون الدولى ويتم معاملته معاملة انسانية حتى انتهاء إجراءاتها.

وتؤكد الدكتورة عائشة راتب استاذ القانون الدولى أن صدام حسين يجب أن تخضع محاكمته لقواعد القانون الدولى وتقوم محكمة عراقية بعقد محاكمة عادلة للنظر فى الاتهامات الموجهة إليه سواء تلك المتعلقة بجيرانه أو جرائمه تجاه شعبه مؤكدة أن المحكمة يجب أن يتم تشكيلها من قبل حكومة عراقية شرعيةوتضم فى عضويتها قضاة يتمتعون بالعدالة والحيادية والشفافية وفى النهاية تلك المحكمة لها وحدها فقط القرار النهائى فى مصير صدام حسين هو ورموز حكمه واعتقد أن ذلك محل شك لأن واشنطن ستكون حريصة على فرض قرارها ورأيها وعدم احترامها لقواعد القانون الدولى لذا سيتم فرض أقصى عقوبة عل صدام على الطريقة الأمريكية وتضيف أن الشعب العراقى وحكومته المستقلة فى حالة تكوينها وإن كان ذلك محل شك هى الوحيدة التى لها الحق فى محاكمة صدام ولكن أن تحاكمه واشنطن باعتبار التزامها بتطبيق قواعد القانون الدولى وإعلان رامسفيلد أن صدام سيعامل كأسير حرب وسيحزى بالحماية التى توفرها اتفاقية جنيف واتساءل الآن فقط عرفت واشنطن

أن هناك اتفاقية اسمها جنيف وترغب فى احترامها فأين موقفها من تلك الاتفاقية عند غزوها واحتلالها للعراق أو عند التعامل مع الأسرى العراقيين؟!.

من جانبه يسخر الدكتور عبد الحميد عشوش - استاذ القانون الدولى بجامعة بنها - من الأصوات الأمريكية التى أكدت أن معاملة صدام ستتم وفقا لاتفاقية جنيف وسيحظى بالرعاية والحماية كاسير حرب معقباً ألم تعلن الولايات المتحدة الامريكية نفسها رسمياً أن الحرب قد انتهت كما أن تلك الحرب العدوانية لم تراع قواعد القانون الدولى ولا معاهداته فى انتهاك سيادة دولة مستقلة رغم اعراض الغالبية العظمى من الدول.

أما بالنسبة للجرائم التى ارتكبها صدام فيروى د. عشوش أنه ارتكبها فى حق الشعب العراقى أولاً وعلى أرض عراقية لذلك فيجب أن تتم محاكمته وفقاً للقانون العراقى وأمام محاكمته وفقا للقانون العراقى وأمام محكمة عراقية لا تستمد أحكامها من ضغوط أمريكية ولا غيرها.

أكد راديو لندن فى سياق تقرير إخبارى أن هناك أسئلة كثيرة لا تزال قائمة حول التأثير الذى ستخلفه عملية اعتقال الرئيس العراقى السابق صدام حسين على الهجمات التى تتعرض لها القوات الاجنبية فى العراق، متسائلا: هل ستنحسر بغيابه أم ستزيد ليثبت المهاجمون بذلك عدم وجود علاقة لهم بالرئيس السابق؟

وأوضح الراديو - فى تقريره - أنه لم يعرف قط إلى أى مدى كان صدام حسين يقف وراء المقاومة التى تلقاها قوات الاحتلال التى تتزعمها الولايات المتحدة فى العراق إلا أن الاعتقاد بأن غالبية الهجمات تأتى من

قبل مؤيدى الرئيس العراقى السابق، لا يستتبع بالضرورة أنه كان وراءها مباشرة فهناك اعتقاد سائد بأن الهجمات التى يشهدها العراق تتم علىأيدى مقاتلين أجانب جاءوا إلىالعراق من أماكن مختلفة من العالم العربى.

ومن جانبه بول رينولدز أن اعتقال صدام من شأنه أن يؤدى إلى توجيه ضربة إلى المقاومة العراقية.

وذكر رينولدز أن الشئ المثير للاهتمام هو أن بول بريمر الحاكم المدنى الأمريكى للعراق بدأ فى حث المقاومة على إلقاء أسلحتها ومحاولة التكيف مع الوضع الجديد وأنه من الواضح أن هذا التحرك كان متعمداً نظراً لأن رئيس الوزراء البريطانى تونى بلير أيضاً أشار إلى هذه النقطة نفسها.

وقال رينولدز: إن الولايات المتحدة وبريطانيا تأملان فى أن يكون اعتقال صدام حسين بمثابة نقطة تحول. فهل سيؤدى ذلك بالفعل إلى كسر ظهر المقاومة؟.

وتوقع قادة عسكريون أمريكيون – وفقا لتقرير راديوا لندن – أن تستمر الهجمات على قوات التحالف غير أن ذلك ربما يكون بداية لمرحلة أخرى دقيقة، فالسؤال الكبير الذى يتردد الآن هو هل ستفقد عمليات المقاومة زخمها بعد ألقاء القبض على صدام حسين، أن قوات التحالف ستتعرض لغضوط متزايدة من قبل العراقيين للانسحاب من العراق علىاعتبار أنه لم يعد هناك داع لوجودها بعض القبض على صدام حسين.

وألمح الراديو إلى أن القبض على صدام يأتى بعد عدة أيام من منح الولايات المتحدة السلطة للعراقيين بمحاكمة رجال النظام العراقى السابق منبها إلا أن واشنطن قالت أنها ترى إنه من المناسب أن يقوم قضاة عراقيون بمحاكمة المتهمين بارتكاب جرائم ضد الشعب العراقى من رجال النظام السابق.

وانتقدت جماعات حقوق الإنسان تلك التدابير الخاصة بالمحكمة وأشارات إلى أنه فى الأعوام الأخيرة فإن المحاكمات التى قام بها القضاة العراقيون لم تدم سوى ليوم أو ليومين على الأكثر ومن ثم فإن هؤلاء القضاة يفتقرون إلى الخبرة الضرورية لإجراء تلك المحاكمات لرجال النظام السابق والتى قد تتسم بإجراءات طويلة ومعقدة خاصة إذا ما تعلق الأمر بالرئيس العراقى السابق صدام حسين

وقال الراديو أن هناك شكوكا قوية فى إمكانية أن يستطيع أى عراقى القيام بمحاكمة عادلة للرئيس صدام حسين ولذلك من الممكن أن يحاكم خارج العراق بتهم ارتكاب جرائم حرب غير أن إدارة الرئيس الأمريكى جورج بوش لا تميل لفكرة محكمة دولية لمحاكمته.

وأشار مسئولون أمريكيون إلى أن المحاكم العراقية الجديدة ستكون ملتزمة بالحصول على مساعدة خبراء قانونيين دوليين، وسيكون من سلطاتها توظيف قضاة أجانب، وهكذا فإن صدام حسين قد يحاكم فى نهاية الأمر أمام محكمة عراقية، بمشورة ومساعدة دولية قوية.

وتكهن بول رينولدز بأن المقاومة فى العراق ربما تستمر بشكل أو بآخر لبعض الوقت... واستطرد قائلاً: "ولكن من المؤكد هو أن اعتقال صدام

من شأنه أن يؤدى إلىتعزي وضع الرئيس الامريكي جورج تعزيز بوش ورئيس الوزراء البريطانى تونى بلير".

وحاول رينولدز الإجابة على التساؤل عن الطريقة التى سيتم التصرف بها مع صدام حسين بقوله: "إن مجلس الحكم العراقى الانتقالى أعرب مؤخراً عن اعتزامه تقديم صدام وأعضاء نظامه السابق إلىمحكمة عراقية، وأنه من الممكن أن يواجه صدام عقوبة الإعدام، خاصة وأن المجلس أعلن أنه سيتم تشكيل محكمة خاصة لمحاكمة أعضاء النظام البعثى السابق، وأن هذه المحكمة ستختص بقضايا إبادة جماعية وجرائم ضد الإنسانية وجرائم حرب ارتكبت خلال الفترة من ١٧ يوليو عام ١٩٦٨ أى منذ تولى صدام السلطة وحتى يوم أول مايو عام ٢٠٠٣ وهو اليوم الذى فقد فيه السلطة.

ومن جانبها، فإن بعض جماعات حقوق الإنسان ترىأنه سيكون من الأفضل أن يتم تشكيل محكمة دولية لمحاكمة صدام، وأنه يجب ألا يعاقب بالإعدام.

ويقول كينيث روث[٣] المديرالتنفيذى لجماعة "ووتش" لحقوق الإنسان أن تشكيل محكمة يقودها خبراء دوليون سيكون خيراً أفضل بالنسبة للعراق، وذلك سواء أكانت هذه المحكمة دولية تماماً مثلما هو الحال بالنسبة لرواندا ويوغوسلافيا السابقة أو كانت محكمة دولية مختلطة مثل المحكمة التى تم تشكيلها بالنسبة لسيراليون"

---

[٣] المدير التنفيذى لجماعة ووتش لحقوق الإنسان.

وبرر كينث روث اقتراحه بأن تشكيل محكمة دولية سيجعل الناس ينظرون إليها محكمة شرعية.

وفي رأيي أن محاكمة صدام حسين يجب أن تتم أمام محكمة عراقية وذلك لأنه وفقا لقواعد القانون الدولي لا يجوز محاكمة رئيس دولة أمام محكمة يعقدها المحتل خاصة أن العراق لا تزال عضواً معترفا به في الأمم المتحدة وجامعة الدول العربية ومنظمة المؤتمر الإسلامي وغيرها من المنظمات.

الإدارة الأمريكية – نفسها أصابها الارتباك، والتخبط حول مصير الرئيس العراقي صدام حسين بعد إلقاء القبض عليه حياً.. هذا ما أكدته تصريحات كبار مسئوليها على مختلف مستوياتهم.

ففي الإعلان عن إلقاء القبض على صدام أعلن وزير الدفاع الأمريكي دونالد رامسفيلد أن صدام حسين سيعامل كاسير حرب ومعنى هذا أنه لا يجوز محاكمة الرئيس العراقي أو إجباره على الكشف عن قواته أو رجال المقاومة العراقية أو عن التسليح أو غير ذلك من أسرار الدولة.. كما يجب ألا يعامل بقسوةأويتعرض للتعذيب البدني أو النفسي.

وفي اليوم التالي لهذا التصريح قال الرئيس الأمريكي جورج بوش أن الرئيس العراقي صدام حسين ستتم محاكمته وهو ما يتنافى مع ما قاله وزير خارجيته.

وبغض النظر عن هذا التخبط في التصريحات إلا أن الإدارة الأمريكية ارتكبت جريمة جديدة في حق الإنسانية تضاف إلى جرائمها الكثيرة ونرى

ضرورة أن يحاكم عليها الرئيس الأمريكي بوش قبل أن يحاكم الرئيس العراقي صدام على أفعاله.

هذه الجريمة الأمريكية تتعلق بإذاعة فيلم تليفزيوني تم بثه لجميع وسائل الإعلام العالمية للرئيس صدام حسين عقب القبض عليه وذلك أثناء قيام الطبيب الأمريكي بفحص فمه وأسنانه وهي باعتراف الإدارة الأمريكية جريمة لا تتفق مع المواثيق الدولية.

وقد حدث في الأيام الأولى للغزو الأمريكي - البريطاني للعراق أن قام التليفزيون العراقي ببث صورة حية لعدد من الأسرى الأمريكيين والبريطانيين وإجراء حوارات معهم.. وقتها أقامت أمريكا الدنيا ولم تقعدها واعتبرت هذا العمل الإعلامي جريمة يجب محاكمة القادة العراقيين عليه، لأنه - حسب زعمهم - يتنافى مع اتفاقيات جنيف الخاصة بأسرى الحرب.

وإذا كان هذا صحيحاً . فيجب محاكمة "بوش" وأعوانه لموافقتهم على بث صور للرئيس العراقي بهذه الصورة المهينة، خاصة أنه ليس جنديا عادياً أو ضابطاً، بل رئيس دولة .. كذلك يجب محاكمة الإدارة الأمريكية - أيضا - على بثها صور لنجلي الرئيس صدام حسين "قصي" و"عدي" بعد قتلهما.

ونحن نعتقد أن الولايات المتحدة الأمريكية لن تقبل عقد محاكمة علنية للرئيس العراقي لأن هذا ليس في مصلحتها، ولأن صدام سيكشف كل الأوراق وسيفضح الأمريكان الذين صفقوا له عند قمعه للأكراد وساعدوه

فى حربه ضد إيران وشجعوه على غزو الكويت ومدوه بكل أنواع الأسلحة الكيماوية.

حق الدفاع

الدكتور أحمد أبو الوفا(*) أستاذ القانون الدولى بجامعة القاهرة يؤكد أن صدام حسين سيحاكم كرئيس دولة سابق على ما أرتكبه وغيرهم من أفعال خلال فتر رئاسته مع الاحتفاظ بأن المتهم برئ حتى تثبت إدانته على كل ما ارتكبه بصفته رئيس دولة ومن ثم يكون له الحق فى الدفاع عن نفسه بنفسه أو بواسطة هيئة دفاع هذا على افتراض عدالة المحاكمة.

ومن الناحية القانونية السياسية والدولية فهناك أحد احتمالين الأول وهو الأرجح أن تتم محاكمته أمام محاكمة عراقية من قضاة محايدين ومستقلين وبعيدين تماماً عن أى تاثير قد يمارس عليهم من قبل قوى الاحتلال.. أما الاحتمال الثانى كما يقول الدكتور أحمد أبو الوفا أن تنشأ محكمة دولية خاصة وبقرار دولى لمحاكمته عن الأفعال التى تحرمها المواثيق الدولية والذى يقال أنه ارتكبها وطبعا ستصدر قائمة الاتهامات والاغتيالات والقتل الجماعى واستخدام الأسلحة الكيماوية ضد الشيعة والأكراد وكذلك شنه الحرب على الدول المجاورة وكلها اتهمات وقضايا تتوقف نتائجها على حسب القانون الذى للأسف ستستخدمه قوات الغزو الأنجلو أمريكى فى محاكمة الرئيس صدام.

(*) أستاذ القانون الدولى بجامعة القاهرة.

ويؤكد: وفقا لأقليمية القانون وطالما قبض على صدام حسين في العراق فإن محاكمته يجب أن تكون داخل العراق بشرط ضمان الحياد والاستقلالية وضمانات المحاكمة العادلة بعيداً عن التلفيقات كما يلزم التأكيد على معاملته معاملة إنسانية وبدون تعذيب ومراعاة أنه كان رئيس دولة مستقلة وهو أيضا في هذه الحالة يعتبر اسير حرب بعد دخول قوات الاحتلال إلى العراق واستمراره في مقاومة الاحتلال حتى تم إلقاء القبض عليه.

ويرى الدكتور أحمد الهوارى(*) أنه يجب التفريق بين الجهة التي تمتلك محاكمة صدام بين القانون الذي يحدد مسئوليته ويعتقد أن القضاء الوطني العراقي نفسه يملك محاكمة حيث إن الشعب العراقي لم يعد يملك السيادة الكاملة ومن ثم قد يشكك في عدالة هذه المحاكمة أن عقدت وبالتالي فالمحاكمة الدولية التي يجب أن تكون تحت إشراف مجلس الأمن وهي الأفضل لأنها ستكون محاطة بكثير من المتطلبات والضمانات والمحاذير من قبل منظمات حقوق الإنسان.

ولكن هناك صعوبات تواجه إمكانية محاكمة صدام حسين أمام مثل هذه المحاكم الدولية والجنائية بسبب عدم انضمام معظم الدول العربية لمثل هذه المحاكمة بشكل عام وعدم انضمام العراق إليها بشكل خاص.

وأشار الدكتور الهوارى إلى وضع صدام حسين الذي يعتبر أول سابقة من نوعها فهو ليس زعيماً أطاحت به حركة وطنية وإنما رئيس دولة في قبضة سلطة محتلة ظل يقاوم حتى تم اعتقاله وأسره ومن ثم يعتبر القائد

(*) رئيس قسم القانون الدولي الخاص بجامعة الزقازيق.

الأعلى للقوات المسلحة العراقية وفى النهاية لابد من معاملته كأسير حرب من خلال توفير المعاملة الإنسانية الكاملة وعدم تعريضه لفضول العامة كما حدث بنشر قوات الاحتلال لصوره أثناء الكشف الطبى عليه للتأكد من شخصيته، وهو تصرف يتنافى مع المواثيق الدولية كذلك توفير الظروف المعيشية الملائمة والرعاية الصحية لحين محاكمته وذلك وفقا لبنود اتفاقية جنيف الثالثة الخاصة بأسرى الحرب.

وفى النهاية يرى الدكتور الهوارى أن جميع الأطراف فى مأزق ولا يعرفون كيفية الخروج منه ونتمنى ألا نفاجأ بمحاكمة سرية لصدام حسين..

ويرى الدكتور جمال زهران أستاذ ورئيس قسم العلوم السياسية بجامعة قناة السويس أن زمن المعايير القانونية قد انتهى بقرار أمريكا باحتلال العراق ولذلك فالقوة العسكرية هى الحكم والتى ستحدد ملامح محاكمة صدام حسين إن وجدت وبالتالى لم يعد من المعقول الحديث عن الوضع القانونى الدولى والسياسى فى حالة صدام حسين فالحرب والاحتلال من الأساس غير قانوني ولا يخضع لأى معايير دولية ولا سياسية ومن ثم فما يحدث الآن وحتى بعد سقوط صدام مسرحية هزلية وصناعة أمريكية كما سبق وكانت هزلية الإصرار على وجود أسلحة دمار شامل فى العراق وثبت كذبها! وكما قيل سابقا وأشيع أن صدام اتفق مع الأمريكان على سقوط بغداد مقابل السماح له بالخروج من العراق واتضح زيف هذه الأقاويل.

وبالتالى فتجاوزات وانتهاكات أمريكا للقانون الدولى وعدم إقرارها للمحكمة الجنائية الدولية يجعلها لن تقبل مثوله وقيادات حزب البعث

أمام هذه المحكمة وبالتالى فلن يتم التعامل مع صدام حسين من منطق القانون الدولى وإنما من منطلق القوة والغطرسة الأمريكية.

أما الدكتور عبد الله الأشعل أستاذ القانون الدولى ومساعد وزير الخارجية السابق فيرى فى اعتقال صدام حسين وسقوطه زوبعة إعلامية تهدف صرف الانتباه عن المقاومة العراقية وما تحدثه بالجيش العراقى وكذلك تحسين صورة بوش لدى الناخب الأمريكى والإيهام بان العراق ونظامه السابق قد انتهى وأن المرحلة الثانية هى الانتقال إلى دول عربية أخرى.

وبشكل خاص ومحدد فإن سقوط صدام يثير عدة تساؤلات أولها تتعلق بمن له حق المحاكمة وطبيعة القانون الذى سيحاكم به فهناك محاكمة تسيطر عليها الولايات المتحدة الأمريكية أو مجلس الحكم الانتقالى وطبعاً ستكون محاكمة سياسية رغم أن الواقع والقانون يلزمهم بان تكون محاكمة قانونية وليست سياسية لذلك فمحاكمة صدام حسين يجب أن تكون عراقية مختصة تطبق القانون

الدكتور عصام الدين(*) حواس مندوب مصر الأسبق لدى الأمم المتحدة ومستشار الشئون القانونية والدولية يقول: لابد أن يعامل صدام حسين كأسير حرب أما إذا طالب الشعب العراقى بمحاكمة صدام بتهمة ارتكاب جرائم ضد ذويهم كمواطنين بصرف النظر عن أمريكا فيمكن أن يحاكم فى بلاده وأمام القضاء العراقى.. وحتى الآن لم تحدد الطريقة التى سيحاكم بها الرئيس العراقى السابق.. لكن من الصعب معاملته كمجرم حرب فلم تكن هناك حرب بل كان اعتداء على العراق وبالتالى فإن وضعه القانونى

* مندوب مصر الأسبق لدى الأمم المتحدة ومستشار الشئون القانونية والدولية.

أن يعامل كأسير حرب لأنه اعتقل وهو ما زال يقاوم الاحتلال والقانون الدولى يعطى له حقوقاً منها ألا يستخدم ضده أى من وسائل القسوة والإجبار على الاعتراف بأسرار بلاده أو إجباره على أن يبوح بأسرار جيشه ومواقعه الحربية ولكن فقط يعطى بيانا عن نفسه واسمه.

ويؤكد د. عصام إن حالة الرئيس صدام حسين هى حالة خاصة.ويجب التعامل معه على أنه أسير حرب ولابد أن يلقى معاملة طيبة لا يكون بها عنف أو قسوة وأن يحاكم محاكمة عادلة علىأن تكون أمام القضاء العراق وعلى أيدى عراقيين.

أما الدكتور مصطفى(*) عبد الرحمن نائب رئيس جامعة المنوفية وأستاذ القانون الدولى يرى أن محاكمة صدام حسين يجب أن تتم أمام محكمة عراقية وذلك لأنه وفقاً لقواعد القانون الدولى لا يجوز محاكمة رئيس دولة أمام محكمة يعقدها المحتل، خاصة أن العراق لا تزال عضوا معترفا به فى الأمم المتحدة وجامعة الدول العربية ومنظمة المؤتمر الإسلامى وغيرها من المنظمات كما أنه وفقا لقواعد القانون الدولى فإن سلطات الاحتلال تنحصر فى إدارة الأقليم ولا تمتد لصلاحيات الحكم ذلك أن الاحتلال يدير ولا يحكم ونظراً لأن العمل القضائى يعتبر من أمس مظاهر السيادة الوطنية فإنه لا يدخل فى نطاق صلاحيات سلطة الاحتلال وترتيبا على ذلك فإن السلطة القضائية المعينة بالتحقيق والمحاكمة يجب أن تكون عراقية خاصة أن هناك محاكم قائمة فى العراق وتباشر اختصاصاتها القضائية.

* نائب رئيس جامعة المنوفية وأستاذ القانون الدولى.

يضيف د. مصطفى عبد الرحمن[٤] في حالة تقديم الرئيس السابق صدام حسين للمحاكمة يجب أن يقدم أمام قاضيه الحقيقي العراق وفق القانون المعمول به في العراق وذلك أخذا من قاعدة إقليمية وهي قاعدة مستقرة في كافة النظم القانونية وينبغي أن يتمتع صدام شأنه شأن غيره من المتهمين ومن أهمها حق الدفاع عن النفس سواء بالأصالة أو الوكالة، ويؤيد هذا الرأي ما أعلنه عدد من أعضاء مجلس الحكم الانتقالي ممن يرغبون في تقديم الرئيس العراقي السابق إلى المحاكمة.

أمير سالم رئيس مركز الدراسات القانونية لحقوق الإنسان يقول: لمعاملة الرئيس الأسبق صدام حسين معاملة أسير حرب يتوقف ذلك على ما إذا كان يطبق عليه القانون الوطني المحلي ونأخذه مثله مثل قانون العقوبات أو إجراءات جنائية وبالتالي تطبق قاعدة أن المتهم بريئ إلى أن تثبت إدانته مثلما قالوا أن المجلس الانتقالي سوف يحاكمه أمام المحكمة التي أقرت في العراق منذ فترة قصيرة أما أن اختلف الوضع فيمكن أن يخضع لآليات القانون الدولي وفي جميع الأحوال ليس أمام أمريكا أو الأمم المتحدة إلا تطبيق قواعد القانون الدولي بأن هذه الأنواع من القضايا المنصوص عليها في اتفاق المحكمة الجنائية الدولية، وفي جميع الحالات نحن نتحدث عن رئيس دولة وليس أي إنسان عادي فلابد أن يخضع صدام لمحاكة عادلة وعلنية ولابد من معاملة رؤساء الجمهوريات مثل صدام حسين بعدالة كاملة وعلنية للوصول إلى قوى عسكرية كبرى وأن هذه الحالة حالة احتلال. وفي النهاية لابد على أي إنسان أن يدافع عن

[٤] رئيس مركز الدراسات القانونية لحقوق الإنسان.

وطنه بكافة السبل وبالتالي رئيس الدولة يستخدم كافة الأساليب للـــدفاع عن بلده ولابد من معاملته بقواعد أسير الحرب.

الخاتمة

وأخيراً ... سؤال ملح نسأل به أنفسنا: من التالى بعد العراق؟!!!

سؤال يلح ويضغط على أعصاب أصحاب الفخامة والجلالة والسمو بعد اعتقال أول رئيس عربى بعملية استعراضية والتنكيل به على شاشات التليفزيونات بصور مهينة.

والعقيد الليبى معمر القذافى لم ينتظر وقتاً، وسارع بعد خمسة أيام من اعتقال صدام حسين بإعلان الموافقة دون شروط على تفتيش دولى عن أسلحة الدمار الشامل فى ليبيا، والتخلص من أية قدرات تتيح لهذه الدول العربية امتلاك مثل هذه الأسلحة، بل تدمير أية صواريخ تتجاوز المدى المسموح به أمريكياً، والأدهى التعهد بتسليم وثائق وبرامج السلاح الليبى لأجهزة الاستخبارات الأمريكية والبريطانية. مفاجأة القذافى المحزنة تدفع للاعتقاد بأن النظم العربية جميعها استهلكت أدوراها ووجودها.

وأصبح وجودها عبئاً استراتيجياً مخيفاً على حقوق المواطنين العرب فى العدل والكرامة والديمقراطي وحقوق الإنسان. فأمن الحاكم فوق حقوق المواطنين.

ورغم هذه الخطوة المخزية، التى رحب بها على الفور الرئيس الأمريكى جورج بوش ورئيس الوزراء البريطانى تونى بلير، فإن ليبيا لن تخرج من دائرة القصف السياسى والعسكرى الأمريكى على ما يخيل إلىّ، بل ربما تغرى بمزيد من الاشترطات والإملاءات فى أدق الشئون الداخلية الليبية، فتطويع ليبيا بالكامل لمقتضيات الاستراتيجية الأمريكية ضمن إعادة

هندسة المنطقة من جديد لصالح دور إسرائيلى مهين هدف لا تنازل عنه، وتصفية حسابات التاريخ مع العقيد القذافى طلب لا تراجع فيه فمهما تراجع هو، فالتنازلات لا نهاية لها، وفرق التفتيش سوف تعقبها بالضرورة عملية فتح واسعة لملفات الديمقراطية وحقوق الإنسان فى ليبيا وسيناريوهات توريث الحكم وسوف يكون من المضحك أن يتحدث القذافى أو غير القذافى وقتها عن رفض التدخل فى الشئون الداخلية، الأجدى أن يصالح شعبه، وأن يتنازل لشعبه، وأن تكون هناك ديمقراطية حقيقية فى ليبيا بإرادة الشعب الليبى ولصالحه، أم ترى أن التنازل لبوش حلال والتنازل للشعب الليبى حرام والمثير أنه لم تكن هناك أزمة كبرى عن أسلحة الدمار الشامل الليبية ، ولا الملف عرض على مجلس الامن ولا الوكالة الدولية للطاقة الذرية لوحت به على نحو خطير كما حدث مع إيران. لا يوجد سبب مقنع للخطوة الليبية فى هذا التوقيت بالذات سوى خشية العقيد القذافى من مصير صدام أنه رأس الذئب الطائر الى أرعب الحكام العرب جميعاً، ودفعهم واحداً تلو الأخر لتهنئة بوش على عملية صدام ونجاحه الباهر فيها والأوجع: نصيحة الرئيس مبارك للصحفيين المصريين بعدم الهجوم على الرئيس بوش.

وبغض النظر عن الموقف من سياسات الرئيس السابق صدام حسين" فإن المشاهد التليفزيونية التى بدا عليها بعد اعتقاله دفعت قطاعات واسعة من الرأى العام العربى للشعور بالمهانة لدرجة دفعتنا جميعاً لليأس، لم نكن نبكى على صدام حسين الإنسان ولا السياسى ولا الرئيس، بل بكينا على أمة أهينت وكما لم يحدث من قبل، وقد تؤدى خطوة القذافى، بعد

اعتقال صدام، التى تزيد فرص بوش فى الانتخابات الامريكية المقبلة، أو إلى مزيد من التشدد الأمريكى فى المنطقة على حساب الحقوق العربية، وبالأخص على حساب القضية الفلسطينية، فمن اللافت - بالتزامن مع خطوة القذاف تراجع الإدارة الأمريكية عن تحفظها على خطة شارون الجديدة. فما الذى يدعو الإدارة الأمريكية - حقا إلى احترام القادة العرب، أو أخذ القضايا العربية فى الاعتبار؟

لو أن مصيرنا بالكامل فى يد الحكام العرب فسوف نضرب بالحذاء الأمريكى - الاسرائيلى، بل سوف نوضع تحت هذا الحذاء جميعاً وبلا استثناء ، غير أن نشوات النصر الأمريكية سوف تطفأ سريعاً بعّمليات المقاومة، التى تصاعدت فى العراق، وسوف تتصاعد أكثر فأكثر بتزايد احتمالات دخول قطاعات من الشيعة فى عمليات المقاومة، والتى أحجمت حتى الآن عن الدخول فيها خشية أن تؤدى إلى احتمال عودة صدام حسين لحكم العراق. هذا يا سادة وقت المقاومة، لا الحكام المترددون.

وقت الشعوب الحية، لا النظم المتهالكة،وقت نستعيد فيه جميعاً صرخة "أبو تمام":

"ونفس تعارف العار حتى كأنه هو الكفر يوم الروع أو دونه الكفر

ماذا بعد؟..

إن آخر ما أود أن أقوله أفيقوا يا نائمون ....أفيقوا يا نائمون

فلقد رأيت فيما يرى النائم.. أنى سجنت فى سجن مليئ بالجراح.. وأن شعاعاً أحمر يصدر من قنديل... يغطى وجهى وساعدى السلاح.

وأن الشمس العربية تمطر دماً.. فوق الأراضى والمرتفعات... وأن المطر يصفر وتعوى الرياح، وفوق أحد الجبال الشاهقة ... رمقت مذياعة بألوان زاهية..... يردد كلمة واضحة بيد أنها مبهمة...

هنا تل أبيب من بغداد العامرة.

وضحكت من الأعماق... وظننته يلقى طرفه ساخرة.... لكنه أعاد الكلمة غير أنه غير المؤخرة.

هنا تل أبيب من مكة المكرمة

هنا تل أبيب من عمان الصامدة

هنا تل أبيب من القاهرة

فوثب قلبى خلف لسانى... وجسدى زلزلة

أين نحن؟؟

من نحن ؟؟

أنحن حقاً؟؟!!

أم مهزلة ؟؟!!

فقلت أستيقظ من نومى لأترك أحلامى المفزعة لكننى لم أستطع لأننى كنت متيقظاً تحت رماد أمة ... كانت يوماً مؤمنة

أحمد محمود محمد

تم الانتهاء من ذلك الكتاب فى

١٢ يناير ٢٠٠٤م. القاهرة

أرشيف الصور

A

CAPTURED

...HUSAYN AL-TIKRITI

President

A



إيران
؟؟

سوريا
؟؟

العراق
القديم

تقرأ فى هذا الكتاب

أخطر الأسرار فى قضية صدام

من الخائن

بريمر نقله إلى واشنطن

رامسفيلد طلب عرضه فى قفص حديدى

شارون يزور بغداد سراً لمشاهدة الرئيس العراقى

مكبلاً بالحديد

البسطرمة آخر ما أكل ... وشعر المتنبى آخر ما قرأ

صدام يمتنع عن الطعام

غير مفهومة تتعلق بعد

صدام: لن أبيع بلدى ولو

ولو أعلن الشعب العراقى التبرؤ منى

المصحف وكتاب تاريخ الأمة.. أهم محتويات زنزانة

قصة الصراع بين بوش وصدام